القافلة
شوال ١٤٠٥هـ يونيو - يوليو ١٩٨٥م
USA
أنظمة النقل الفضائي
Thompson

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN

JUNE/JULY 1985

العدد العاشر / المجلد الثالث والثلاثون

شوال ١٤٠٥هـ يونيو - يوليو ١٩٨٥م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها

إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩

الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني أبوكشك

صورة الغلاف

رسم لمكوك الفضاء الامريكي «ديسكفري» قبيل اطلاقه في نوفمبر ١٩٨٤.

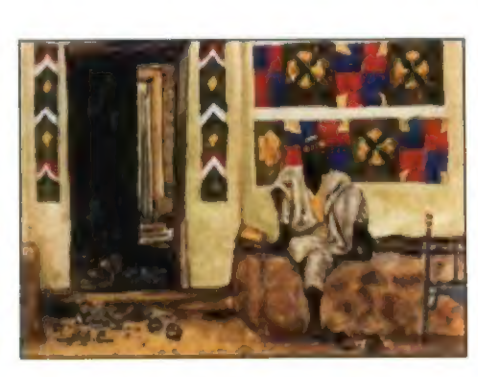

السنغال

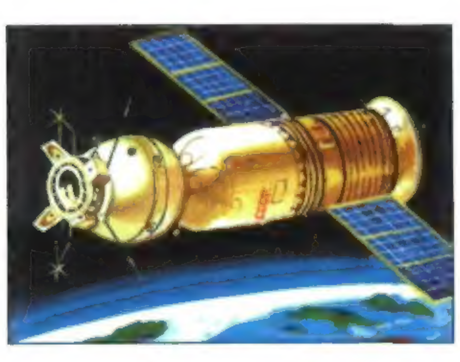

أنظمة النقل الفضائي

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام

Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam

عيد مبارك

أعزائي الموظفين

إنه لمن بواعث غبطتي ودواعي سروري أن أغتنم فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة (أرامكو) ولأفراد عائلاتهم أجمل التهاني وأسمى الأماني بهذه المناسبة الكريمة .. أعادها الله عليهم بالخير والبركات . وكل عام وأنتم بخير .

جان ج . كلبرر

رئيس مجلس الادارة

كل عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عيد الفطر المبارك بقلوب ملؤها الغبطة والبهجة .. ويسر هيئة التحرير أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى مقام جلالة الملك فهد المفدى وولي عهده الأمين والى المسلمين كافة وإلى القراء الكرام أخلص التهاني وأطيب التمنيات ، ضارعة إلى المولى عز وجل أن يعيدها عليهم وهم رافلون في أثواب اليمن والسعادة والرخاء .. وكل عام وأنتم بخير .

هيئة التحرير

في فقه الزكاة

بقلم : د. أحمد جمال العمري / جامعة الملك عبد العزيز

ما الزكاة .. وما شروط وجوبها ؟ وهل تجب الزكاة في دور السكنى وأثاث المنزل ؟
وهل تجب الزكاة في صداق المرأة ؟ وهل تجب الزكاة على الذهب والفضة ؟
وهل تجب الزكاة على الأوراق المالية ؟

الزكاة — لغة .. معناها التطهير ، والنماء ، والزيادة ، ومن معانيها أيضا : البركة ، والصلاح ، والطهارة .. قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ أي طهرها من الأدناس .

والزكاة شرعا .. تمليك مال مخصوص لمستحقه بشرائط مخصصة .

وهذا معناه .. ان الذين يملكون نصاب الزكاة ، يفترض عليهم ان يعطوا الفقراء ، ومن على شاكلتهم من مستحقي الزكاة .. قدرا معينا من أموالهم بطريق التمليك .

وقال الفقهاء الحنابلة : انها حق واجب .. في مال خاص .. لطائفة مخصوصة .. في وقت مخصوص . وهذا التعريف قريب من التعريف الأول ، إلا أن التعريف الأول قد نص صراحة بضرورة تمليك المستحق ، وإعطائه القدر المفروض من الزكاة فعلا . اذ لا يلزم من الوجوب التمليك بالفعل .

والزكاة — حكما .. الركن الثالث من اركان الاسلام ، وعلى هذا الركن تقوم مبانيه العظام ، من جحد وجوبها عالما بذلك ، أو جاحدا ، كفر باجماع آراء الفقهاء ، لأنه يعد مكذبا لله ورسوله وإجماع الأمة .

شروط وجوب الزكاة

الزكاة فرض عين على كل من توفرت فيه شروط معينة :

★ منها البلوغ ، فلا تجب على الصبي الذي له مال . ولكن تجب في ماله .

★ ومنها العقل ، فلا تجب على المجنون ، ولكن تجب في ماله .

وتجب على الولي إخراجها عند ثلاثة من أئمة المذاهب .. هم المالكية والشافعية والحنابلة . وخالفهم الحنفية .. وقالوا : لا تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون ، ولا يطالب وليهما باخراجها من مالهما ، لأنها عبادة محضة ، والصبي والمجنون لا يخاطبان بها ، وإنما وجب في مالهما الغرامات والنفقات ، لأنهما من حقوق العباد ، ووجب في مالهما العشر ، وصدقة الفطر ، لأن فيهما معنى المؤنة ، فالتحقا بحقوق العباد ، وحكم المعتوه كحكم الصبي ، فلا تجب الزكاة في ماله .

★ ومن شروط وجوبها الاسلام ، فلا تجب على كافر ، سواء كان أصليا أو مرتدا . واذا أسلم المرتد ، فلا يجب عليه إخراجها زمن ردّته — كما قال الحنفية والحنابلة . أما المالكية .. فقالوا : الاسلام شرط للصحة لا للوجوب ، فتجب على الكافر — وإن كانت لا تصح إلا بالاسلام ، وإذا أسلم فقد سقطت بالاسلام ، لقوله تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾[1] ولا فرق بين الكافر الأصلي والمرتد .

وقال الفقهاء : وكما أن الاسلام شرط لوجوب الزكاة ، فهو شرط لصحتها أيضا ، لأن الزكاة لا تصح إلا بالنية ، والنية لا تصح من الكافر ، باتفاق ثلاثة من الأئمة ..

أما الشافعية فقالوا : تصح النية من المرتد ، ولذا قالوا : تجب الزكاة على المرتد وجوبا موقوفا على عوده الى الاسلام ، فاذا عاد إليه تبين أنها واجبة عليه لبقاء ملكه ، فيخرجها حينئذ — ولو أخرجها حال ردته أجزأت ، وتجزئة النية في هذه الحالة ، لأنها للتمييز — لا للعبادة . أما إذا مات على ردته ، ولم يسلم .. فقد تبين أن المال خرج عن ملكه وصار فيئا ، فلا زكاة .

★ ومن شروطها أيضا .. الحرية ، فلا تجب على الرقيق .

★ ومن شروطها كذلك .. فراغ المال من الديْن ، فمن كان عليه ديْن يستغرق النصاب أو ينقصه فلا تجب عليه الزكاة .

غير أن الشافعية قالوا : لا يشترط فراغ المال من الديْن ، فمن كان عليه ديْن وجبت عليه الزكاة ، ولو كان ذلك الديْن يستغرق النصاب .

أما الحنفية — فقالوا : ينقسم الدين بالنسبة لذلك الى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون ديْناً خالصاً للعباد .

الثاني : أن يكون ديْناً لله تعالى ، ولكن له مطالب من جهة العباد ، كديْن الزكاة ، والمطالب هو الامام في

الأموال الظاهرة ، وهي السوائم — أي كل إبل أو ماشية تذهب لرعي ولا تعلف — وما يخرج من الأرض ، أو نائب الامام في الأموال الباطنة ، وهي أموال التجارة ، كالذهب والفضة .

الثالث : أن يكون ديْناً خالصاً لله ، ليس له مطالب من جهة العباد ، كديون الله تعالى الخالصة ، من نذور وكفارات ، وصدقة فطر ، ونفقة حـــــج ..

قالوا : فالديْن الذي يمنع وجوب الزكاة هو ديْن القسمين الأولين — أما القسم الثالث : فانه لا يمنع وجوب الزكاة .

وقال المالكية : من كان عليه ديْن ينقص النصاب ، وليس عنده ما يفي به من غير مال الزكاة مما لا يحتاج اليه في ضرورياته ، كدار السكنى ، فلا تجب عليه الزكاة في المال الذي عنده .

وهذا الشرط خاص بزكاة الذهب والفضة ، اما الماشية والحرث فتجب زكاتهما ولو مع الديْن .

وقال الحنابلة : لا تجب الزكاة على من عليه ديْن يستغرق النصاب أو ينقصه، ولو كان الديْن من غير جنس المال المزكى ، ولو كان ديْن خراج أو حصاد ، أو أجرة أرض وحرث .

ويمنع الدين وجـوب الزكـاة في الأمـوال الباطنـــة ، كالنقود ، وقيم عروض التجـارة والمعـدن ، والأمـوال الظاهـرة ، كالمواشي والحبوب والثمار . فمن كان عنده مال وجبت زكاته ، وعليه ديْن ، فليُخْرِج منه بقدر ما يفي ديْنه أولا ، ثم يزكي الباقي إن بلغ نصابا .

نصاب الزكاة .. ومرور الحول عليه

يشترط لوجوب الزكاة .. أن يبلغ المال المتروك نصابا ، فلا تجب الزكاة إلا على من ملك نصابا . والنصاب — معناه في الشرع — ما نصبه الشارع علامة على وجوب الزكاة ، سواء كان من النقدين أو غيرهما . ويختلف مقدار النصاب باختلاف المال المزكى .

أما مرور الحوْل عليه ، أو حَوَلان الحوْل كما اصطلح الفقهـاء ، فمعناه : أن لا تجب الزكاة إلا إذا ملك النصاب ، ومضى عليه حول كامل (أي سنة) وهو مالكه .

والمـراد : الحـوْل القمـري ، لا الشمسي ، أي السنـة الهجرية او القمرية ، ومقدارها : ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما (٣٥٤) . أما السنة الشمسية ، أي الميلادية ، فتختلف باختلاف الأحوال ، فتارة تكون ثلاثمائة وخمسة وستين يوما (٣٦٥) وتارة تزيد على ذلك يوما في السنة الكبيسة ، لذلك لا يعتدُ بها في فقه الزكاة .

وفي حَوَلان الحوْل آراء متباينة عند المذاهب ..

فالحنفية .. قالوا : يشـترط كمـال النصاب في طرفي الحول ، سواء بقي في أثنائه كاملا أو لا . فاذا ملك نصابا كاملا في أول الحول ، ثم بقي كاملا حتى حال الحول وجبت الزكـاة ، فان نقص في أثناء الحول ، ثم تم في آخره وجبت فيه الزكاة كذلك . أمّا إذا استمر ناقصاً حتى فرغ الحـوْل ، فلا تجب فيه الزكاة .

ومن ملك نصابا في أول الحول ، ثم استفاد مالا في أثناء الحول ، يضم الى أصل المال ، وتجب فيه الزكـاة ، إذا بلغ المجموع نصابا وكان المال المستفاد من جنس المال الذي معه . وإنما يشترط حَوَلان الحَوْل في غير زكاة الزرع والثمار ، أما زكاتهما فلا يشترط فيها ذلك .

أما المالكية .. فقالوا : حَوَلان الحوْل شرط لوجوب الزكاة في غير المعدن والركاز والحرث ، أي الزرع والثمار ، أما هي فتجب فيها الزكاة ولو لم يحل عليها الحول .

— وإذا ملك نصاباً من الذهب والفضة في أول الحول ، ثم نقص في أثنائه ، ثم ربح فيه ما يكمل النصاب في آخر الحول ، فتجب عليه الزكاة ، لأن حول الربح حول أصله . وكذا لو ملك أقل من نصاب في أول الحول ، ثم اتجر فيه ما يكمل النصاب في آخر الحول وجب عليه زكاة الجميع .

وقال الحنابلة .. يشترط لوجوب الزكاة مضي الحول ولو تقريبا ، فتجب الزكاة مع نقص الحول نصف يوم ، وهذا الشرط معتبر في زكاة الاثمان ، والمواشي ، وعروض التجارة .. أما في غيرها ، كالثمار والمعادن .. فلا يشترط لوجوب الزكاة فيها حَوَلان الحَوْل . ولا بدّ من حَوَلان الحَوْل بتمامـه ، ولـو تقريباً ، على النصاب ، فاذا ملـك أقل من نصـــاب في أول الحول ، ثم اتجر فيه فربح ما يكمل النصاب ، فيعتبر حول الجميع من حين تمام النصاب ، فلا زكاة إلا إذا مضى حول من يوم التمام .

وقال الشافعية : حَوَلان الحوْل شرط لوجوب الزكاة على التحديد ، فلو نقص الحول ولو لحظة فلا زكاة ، وإنما يشترط حَوَلان الحول في غير زكاة الحبوب ، والمعدن والركاز ، وربح التجارة ، لأن ربح التجارة يزكى على حول أصله ، بشرط أن يكون الأصل نصابا ، فان كان أقل من نصاب ثم كمل النصاب بالربح ، فالحول من حين التمام .

أما إذا كان النصاب كاملا في أول الحول ، ثم نقص في أثنائه ، ثم كمل بعد ذلك ، فلا زكاة إلا إذا مضى حول كامل من يوم التمام . وهنا نستطيع ان نقف لنتساءل عن وجوب الزكاة في أنواع من الأموال ..

★ هل تجب الزكاة في صداق المرأة؟

★ وهل تجب الزكاة في دور السكنىٰ.. وأثاث المنزل.. والجواهر الثمينة؟

★ وهـل تجب الزكاة على الذهب والـــفضة؟

★ وهـل تجب الـزكاة على الأوراق الماليـــة ؟

الزكاة في صداق المرأة

فيما يتصل بالزكاة في صداق المرأة نقول .. إن الفقهاء اشترطوا لوجوب الزكاة « الملك التام » ويندرج تحت هذا البند صداق المرأة .. فهل صداق المرأة قبل قبضه مملوك لها ملكا تاما أو لا ؟

قال الحنفية : المِلْك التام هو أن يكون المال مملوكا في اليد ، فلو ملك شيئا لم يقبضه ، فلا تجب فيه الزكاة ، كصداق المرأة قبل قبضه ، فلا زكاة عليها فيه . وكذلك لا زكاة على من قبض مالا ولم يكن ملكا له .

وقال المالكية : الملك التام هو أن يكون الشخص صاحب التصرف فيما ملك .. فلا زكاة على العبد بجميع أنواعه فيما ملك من المال ، لأن ملكه غير تام . وكذلك لا زكاة على من كان تحت يده شيء غير مملوك له كالمرتهن .. وأما المرأة فصداقها مملوك لها ملكا تاما ـــ إلا انها لا تزكّيه حال وجوده بيد الزوج ، وإنما يجب عليها زكاته بعد ان يمضي عليه حَوْل عندها بعد قبضه .

وقال الشافعية : اشتراط الملك التام يخرج الرقيق والمكاتب ، فلا زكاة عليهما . أما الأول فلأنه لا يملك ، وأما الثاني فلأن ملكه ضعيف . وكذلك يخرج المال المباح لعموم ، وأيضا يخرج المال الموقوف على غير عين . فلا تجب الزكاة فيه ، كما إذا وقف بستانا على مسجد ، أو جماعة غير معينين ، كالفقراء والمساكين ، فلا تجب الزكاة في ثمره وزرعه .

وأما صداق المرأة إذا كان بيد زوجها فهو من قبيل الدين ، وزكاته واجبة ، انما تخرج بعد قبضه .

أما الحنابلة : فقالوا الملك التام : هو ان يكون بيده لم يتعلق به حق للغير ، ويتصرف فيه على حسن اختياره وفوائده له لا لغيره ، فلا تجب زكاة في دَيْن الكتابة ، ولا فيما هو موقوف على غير معين ، كالمساكين ، أو على مسجد أو مدرسة ونحوهما ..

اما الوقف على معين ، فتجب فيه الزكاة ، فمن وقف أرضا أو شجرا على معين ، فتجب عليه الزكاة في غلة ذلك متى بلغت نصابا .

أما صداق المرأة ، فهو من قبيل الديْن ، وحكمه حكم المال الذي استدانه شخص من غيره .

الزكاة في دور السكنى ، وأثاث المنزل ، والجواهر الثمينة

أما فيما يتصل بدور السكنى ، وأثاث المنزل ، والجواهر الثمينة ، فقد اتفق الأئمة الأربعة ، على أنه لا تجب الزكاة فيها . واتفقوا أيضا على انه لا زكاة في دواب الركوب ، وسلاح الاستعمال ، وما يتجمل به من الأواني إذا لم تكن من الذهب أو الفضة . واتفقوا كذلك على انه لا تجب زكاة في الجواهر أو الأحجار الكريمة ، كاللؤلؤ ، والياقوت ، والزبرجد ونحوها إذا لم تكن للتجارة .

★ كما اتفقت المذاهب ، إلا الحنفية ، على أنه لا تجب الزكاة في الات الصناعة مطلقا ، سواء أبقي أثرها في المصنوع أم لا .. وكذا لا تجب في كتب العلم ، إذا لم تكن للتجارة ، سواء أكان مالكها من أهل العلم أم لا ..

أما فيما يتصل بآلات الصناعة ، فقد قال الحنفية : آلات الصناعة إذا بقي أثرها في المصنوع ، كالصباغة مثلا ، تجب فيها الزكاة .. وإلا فلا .

وأما ما يتصل بكتب العلم ، فقد قالوا : انه اذا كان مالكها من اهل العلم فلا تجب فيها الزكاة ، وإلا وجبت .

الزكاة على الذهب والفضة

اتفقت المذاهب جميعا على أنه تجب الزكاة في الذهب والفضة إذا بلغا النصاب . ونصاب الذهب عشرون مثقالا .. والمثقال هو الدينار باتفاق الا عند الحنابلة ، الذين قالوا ان الدينار أصغر من المثقال ، فالنصاب بالدنانير خمسة وعشرون دينارا .

وبالطبع هذا الدينار تتغير قيمته من بلد الى أخرى .. تبعا للظروف الزمانية والمكانية ، كما يخضع لتقلبات الأسعار العالمية .

وقال علماء الفقه : يجب ان يخرج مالك النصاب من الذهب رُبع العُشر زكاة له . ونصاب الفضة ، كما حدده الفقهاء .. مائتا درهم ، وقيمته المادية أيضا متغيرة حسب أسعار الشراء والبيع ، فمن ملك نصابا من فضة ، وجب عليه إخراج رُبع العُشر زكاة له ..

ولا فرق بين ان يكون الذهب والفضة مضروبين أو غير مضروبين ، وهذا في غير الحلي . أما الحلي .. فللفقهاء آراء فيها :

قال المالكية : الحلي المباح كالسوار للمرأة ، وقبضة السيف المعد للجهاد ، والسن للرجل .. لا زكاة فيه إلا في الأحوال الآتية :

أولا : أن ينكسر بحيث لا يرجى عوده الى ما كان عليه إلا بسبكه مرة اخرى .

ثانيا : أن ينكسر بحيث يمكن عوده بدون السبك مرة أخرى ، ولكن لم ينو مالكه إصلاحه .

ثالثا : أن يكون معدا لنوائب الدهر وحوادثه لا للاستعمال .

رابعا : أن يكون معدا لمن سيوجد للمالك من زوجة وبنت مثلا .

خامسا : أن يكون معدا لصداق من يريد أن يتزوجها أو يزوجها لولده .

سادسا : أن ينـوي به التجـــــارة .

ففي جميع هذه الأحوال تجب فيه الزكاة .

أما الحلي المحرم ، فهي كالأواني والمرود والمكحلة ، فتجب فيها الزكاة بلا تفصيل . والمعتبر في زكاة الحلي الوزن لا القيمة .

أما الحنفية ، فقالوا : الزكاة واجبة في الحلي ، سواء كان للرجال أو للنساء ، تبراً كان أو سبيكة ، آنية ، كان أو غيرها ، ويعتبر في زكاته الوزن لا القيمة .

وأما الحنابلة ، فقالوا : لا زكاة في الحلي المباح المعد للاستعمال أو الاعارة لمن يباح به استعماله ، فان كان غير معد للاستعمال فتجب زكاته إذا بلغ النصاب من جهة الوزن . فاذا بلغ النصاب من جهة القيمة ، دون الوزن ، فلا تجب فيه الزكاة ..

أما الحلي المحرم ، فتجب فيه الزكاة كما تجب في آنية الذهب والفضة البالغة نصابا وزنا .

وقال الشافعية : لا تجب الزكاة في الحلي المباح ، الذي حال عليه الحول مع مالكه العالم به . أما اذا لم يعلم بملكه ، كأن يرث حليا يبلغ نصابا ، ومضى عليه الحول بدون أن يعلم بانتقال الملك إليه ، فانه تجب زكاته . أما الحلي المحرم .. كالذهب للرجل ، فانه تجب فيه الزكاة ، ومثله حلي المرأة اذا كان فيه إسراف كخلخال المرأة اذا بلغ مائتي مثقال ، فانه تجب فيه الزكاة .

وتجب الزكاة ايضا في قلادة المرأة المأخوذة من الذهب والفضة المضروبين ، اذا لم يكن لها عروة من غير جنسها ، فان كان لها عروة منها فلا زكاة فيها . ويعتبر في زكاة الحلي الوزن دون القيمة . واذا انكسر الحلي لم تجب زكاته اذا قصد إصلاحه ، كان إصلاحه ممكنا بلا صياغة ، وإلا وجبت .

الزكاة على الأوراق المالية

يرى جمهور الفقهـاء وجوب الزكاة في الأوراق المالية ، لأنها حلت في عصرنا الحالي محل الذهب والفضة في التعامل ، ويمكن صرفها بالفضة دون عسر ، فليس من المعقول ان يكون لدى الناس ثروة من الاوراق المالية ، ويمكنهم صرف نصاب الزكاة فيها بالفضة ، ولا يخرجون عنها زكاة . ولذا أجمع ثلاثة من أئمة المذاهب على وجوب الزكاة فيها ، وهم الشافعية ، والمالكية ، والحنفية ، وخالفهم الحنابلة في ذلك .

قال الشافعية : التعامل بالورق النقدي المسمى « البنكنوت » ، هو من قبيل الحوالة على البنك بقيمته ، فيملك قيمته دَيْناً على البنك ، والبنك مدين مليء مقر ، مستعد للدفع حاضر ، ومتى كان المدين بهذه الاوصاف ، وجبت زكاة الدين في الحال . وعدم الايجاب والقبول اللفظيين في الحوالة لا يبطلها ، حيث جرى العرف بذلك .

على ان بعض أئمة الشافعية قال : المراد بالايجاب والقبول كل ما يشعر بالرضا من قول او فعل ، الرضا هنا متحقق .

وقال المالكية : أوراق البنكنوت وإن كانت سندات دين ، إلا أنها يمكن صرفها فضة فورا ، فتجب فيها الزكاة فورا . وتقوم مقام الذهب في التعامل ، فتجب فيها الزكاة بشروطها .

وقال الحنفية : الأوراق المالية من قبيل الدين القوي ، إلا أنها يمكن صرفها فضة فورا ، فتجب فيها الزكاة فورا .

أما الحنابلة ، وهم الذين خالفوا في رأيهم المذاهب السابقة ، فقد قالوا لا تجب زكاة الورق النقدي إلا إذا صرف ذهب أو فضة ، ووجدت فيه شروط الزكاة .

بقي أن نقول ، إن الزكاة في السُّنَّة المطهرة ، كما هي في القرآن العظيم ، ثالثة دعائم الاسلام ، التي لا يقوم بناؤه إلا بها ، ولا يرتكز إلا عليها ، من أجل ذلك حذر الرسول الكريم ، ﷺ ، من التهاون في أدائها ، وأنذر مانعي الزكاة بالعذاب المغلظ في الدنيا والآخرة ، لينبه بهذا الوعيد القلوب المتحجرة ، والنفوس الشحيحة الى البذل والعطاء .

فأما عذاب الآخرة : فيتضح من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال ، قال رسوم الله ﷺ : « من أتاه الله مالا ، فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع ، له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه ، يعني شدقيه ، ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا النبي ﷺ ، الآية : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾[2]

وأما عقوبته في الدُّنيا : فقد جعلتها السنة المطهرة في أمرين :

أولهما : أمر يتصل بالقُدرة : كقوله ﷺ : « ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين »[3] . وقوله عليه الصلاة والسلام : « وما منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القَطْر »[4] .

والأمر الثاني .. يتصل بالشرع : حيث حددت السُّنَّة الشريفة العقوبة الشرعية التي يتولاها الحاكم ، أو ولي الأمر ، قال رسول الله ﷺ في الزكاة : « من أعطاها مؤتجراً فله أجره ، ومن منعها فإنّا آخذوها وشطر ماله عزمة من عَزَمات ربنا ، لا يحل لآل محمدٍ منها شيء »[5] □

شــــرح الحواشـــي

(١) سورة الانفال الآية/٣٨ .

(٢) رواه البخاري والآية من سورة آل عمران/١٨٠ .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه البيهقي .

(٥) رواه أحمـد .

الإســـلام
بـيـن
الغربـة والغرابـة

بقلم: د. عبدالصبور شاهين / القاهرة

من الأحاديث التي يتردد ذكرها على ألسنة المعاصرين كثيرا ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة ان رسول الله ، ﷺ ، قال : « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود كما بدأ غريبا ، فطوبى للغرباء » .

ويعمد العارفون بنص هذا الحديث الى الاستشهاد به على ما يواجه الاسلام في نظرهم من قلة وضعف في هذا العصر المضطرب ، الحافل بالمتناقضات ، والذي غلب عليه تأثير المذهب المادي ، بل وسادته الحضارة المادية المجافية لكل ما يتصل بالروح وبالدين .

والقائلون بهذا الرأي في تفسير الحديث يستمدون معناه من تفسير الامام النووي لصحيح مسلم حيث يقول : « وأما معنى الحديث فقال القاضي عياض ، رحمه الله في قوله « غريبا » روى ابن أبي أويس عن مالك ، رحمه الله ، ان معناه : في المدينة ، وان الاسلام بدأ بها غريبا ، وسيعود اليها (يشير بذلك الى حديث آخر يقول : ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) ، قال القاضي : وظاهر الحديث العموم ، وان الاسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ، ثم انتشر وظهر ، ثم سيلحقه النقص والاخلال ، حتى لا يبقى الا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ ، وجاء في الحديث تفسير الغرباء ، وهم النُّزّاع من القبائل ، قال الهروي : أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم الى الله تعالى »[1] .

وجلسنا مرة في إحدى الندوات ، فسمعت الى من تناول هذا الحديث مستدلا به على ان ذلك في نهاية العالم ، وانه يكون من علامات الساعة ، وان القيامة لا تقوم الا حين يقبض العلم بقبض العلماء ، فيتخذ الناس رؤساء جهالا فيحكمون بغير ما انزل الله ، فيضلون ويضلون ، وهنا تكون غربة الاسلام ، وقلته وضعفه ، ولم يعدم الرجل ان يجد في ملامح عصرنا ووقائعه كثيرا من امارات هذه الغربة ، التي تنذر بنهاية العالم ، وسوء المنقلب ، وهنا تأتي العبارة في خاتمة الحديث « فطوبى للغرباء » وعدا لأولئك الذين يأتي عليهم الزمان ، فيستضعفهم ، وينكل بهم ، بأن لهم العاقبة الحسنة ، على حدّ قوله تعالى ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب** ﴾ .[2]

ولسنا أرَ دعوة الى تمجيد الضعف ، وبث اليأس في النفوس كهذه الدعوة ، التي قال بها مفسرو الحديث على هذا النحو ، وكأنهم يقولون : ان لهذا الدين دورة يعيشها ثم تزول ايامه ، وتحل عليه الغربة والقلة والذلة ، وهو تفسير يسيء في رأينا الى القائلين به ، قبل ان يسيء الى الاسلام ، ذلك اننا لا نستطيع ان نتصور ان الدين قد بدأ ضعيفا ذليلا قليلا ، في مكة أو في المدينة ، على عهد رسول الله ، ﷺ ،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٧٧

(٢) سورة الرعد/٢٩

فقد كان حسبه من القوة ان كان حامل دعوته هو محمد ، النبي القوي ، الماضي في عزمه الى درجة التحدي ، القائل في وجه الطغيان الجاهلي « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ، فماذا يمكن ان نلمح من عناصر الضعف في هذا الموقف الهائل الذي استهان حتى بالمستحيل ، ولو صار واقعا ؟! . ومتى كانت هذه الغربة للاسلام في المدينة ، وقد كانت عاصمة العقيدة الاولى ، وحصنها الذي انهزمت دونه قوى العدوان الجاهلي ؟! وكيف تكون القوة اذا لم تكن على هذا النحو ؟

والحق انني لا افهم قوله ، ﷺ ، « بدأ الاسلام غريبا » من « الغربة » ، بل هو من « الغرابة » ، وفرق كبير بين معنى اللفظين ، رغم انهما من مادة واحدة ، وكما عرفت اللغة : اغربَ الرجُلُ : صار غريباً ، عرفت أيضاً : أغربَ الرجُل : جاء بشيء غريب ، فالمعنيان إذن متساويان ، وللسياق ان يفرض أنسبهما .

ولقد كان الاسلام من بدايته غريبا حقا ، لقد أذهل القوم ، فتحيروا في حقيقته ، أهو شعر ، أم كهانة ، أم سحر ؟ .. أهو عقل أم جنون ؟ أهو حق أم باطل ؟ .. الخ. وليس هناك غرابة أبين من هذه الغرابة ، فقد أدهش الاسلام القوم بما فجئهم به من آيات باهرة ، معنى وأسلوبا ، فكانت بدايته غريبة مذهلة ، الى ان اطمأن الناس اليه فآمنوا ، وزال من أنفسهم ما كانوا يرونه فيه من غرابة ، ومضى ركب الاسلام عبر القرون ، يبني كل يوم جديدا ، من فنون الحضارة ، ويكشف من اسرار العلم ما خلد اعلامه على مر الزمان ، ويواجه كيد اعدائه ، ويرده في نحورهم ، الى ان آذنت دورته الحضارية بأفول ، فدخل في فترة الانحطاط التي نعرفها منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . حتى ظن أعداؤه من الصليبيين والملاحدة انه قد انتهى الى غير رجعة .

ثم ها نحن أولاء نشهد عودة الاسلام « غريبا » مرة اخرى ، مدهشا ، بل مذهلا للدنيا بأجمعها ، بعد ان جربت من النظم الوضعية ما ثبت فشله ، وما دفع جماهير الشباب الى الحيرة والضياع ، وبدأ الكثير من المفكرين يبحثون عن مخرج من هذه الكارثة العقائدية ، واذا هم لا يجدون سوى الاسلام منقذا لهم من الفوضى الفكرية ، ومن التمزق الحضاري .

انها المعجزة الجديدة ، أو الغرابة الثانية لهذا الدين ، تعبر عن نفسها في اشكال شتى ، سياسية واقتصادية ، وقانونية ، واجتماعية ، وثقافية ، وروحية ، وقد غرق العصر حتى اذنيه في جاهلية معتمة ، وضلال بهيم .

ويجيء اسلام مفكر مثل « رجاء جارودي » بمثابة التصديق لهذه النتيجة ، أو لهذا الفهم الذي نعرضه تحت أعين علمائنا ، أولئك الذين قد يعز عليهم ان يخالفوا عما قاله أئمة السلف من أمثال القاضي عياض ، والامام النووي ، ولقد كان هؤلاء السلف معذورين فيما ذهبوا اليه ، فقد كانوا يتحدثون عن احتمال غد يرونه بعيدا ، ونراه نحن قريبا آخذا برقابنا الى وهدة اليأس ، وهوة القنوط ، حيث نغرق في مشاعر القلة والذلة والغربة التي قالوا بها .

أما ما نفهمه الآن من معنى الحديث فهو يفتح بابا الى الأمل في نهضة جديدة ، وبعث شامل لعقيدة الاسلام ، وهو لا يرى في مظاهر الضعف التي يعاني منها المسلمون الآن إلا بشيرا بغد أكثر عطاء ، ومستقبل أعظم تألقا بما يعبر عنه الاسلام في العهد القادم من إعجاز متجدد ، يتفق مع كونه آية الله الصالحة لكل زمان ومكان ، وهو ما تنبأ به رسول الله في هذا الحديث .

وحينئذ نفهم من قوله ، ﷺ ، « فطوبى للغرباء » بشرى لأولئك الذين يعبرون عن الاسلام في عصرنا تعبيرا مدهشا ، يجلو عن وجهه غبار الزمن ، ويكشف عن أصالته وتألقه فيما يقدمون من حلول لمشكلات العالم ، فهؤلاء هم « الغرباء » الأقوياء المدهشون ، دعاة الاسلام المتجدد العملاق ، فهم المبشرون بظهور الاسلام من جديد ، تحقيقا لإعلام الرسول .

اننا لا نتصور مطلقا ان يمدح الرسول « الغرباء » أي : الضعفاء ، أو حتى المستضعفين ، فهؤلاء انما يدخلون في باب اصحاب الاعذار ، ممن رفع الله عنهم الحرج ، والمقام في الحديث مقام تمجيد لمن يقومون بأمر الله ، ويتمسكون بالحق مهما كانت التضحيات ، على نحو ما قرر الرسول في حديثه الصحيح : « ما تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » ، فظهورهم هنا انما هو دليل القوة ، لا امارة الضعف ، وهو أقرب الى موقف الغرابة ، والتحدي الذي لا يتوقع الا من اناس باعوا انفسهم لله ، ولم يعبأوا بالتهديد ، ولم ينهزموا للقهر او التخويف . وذلكم هو ما ينبغي ان نؤكده للأجيال القادمة التي نرجوها لغد الاسلام القوي الغريب □

السنغال

قطرٌ افريقيٌ تزيد نسبة المسلمين فيه على ٨٥٪ من جملة سُكانه

بقلم: د. محمد علي الفرا / الكويت

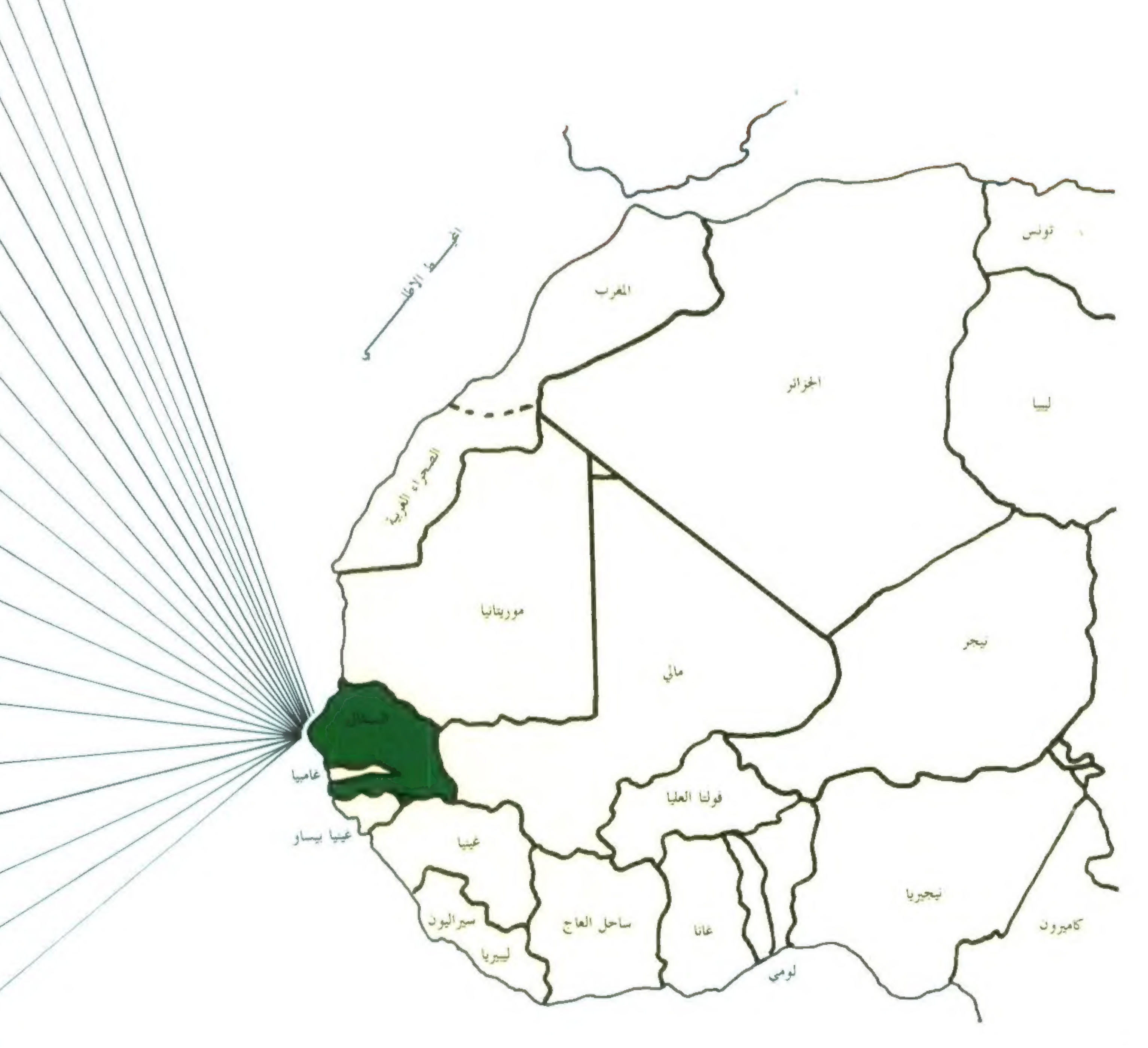

- السنغال هي البوابة الطبيعية لإفريقيا الوسطى والغربية.
- دخلها الإسلام لأول مرة في القرن التاسع الميلادي.
- أقبل السنغاليون على اعتناق الإسلام لبساطة تعاليمه ولكونه يتفق وفطرتهم.
- اتخذ الأوروبيون جزيرة غوري مركزا لتجميع الرقيق المتجه إلى أسواقه في أمريكا الشمالية.
- حارب المستعمرون الفرنسيون الإسلام بمختلف الوسائل فلم ينجحوا.

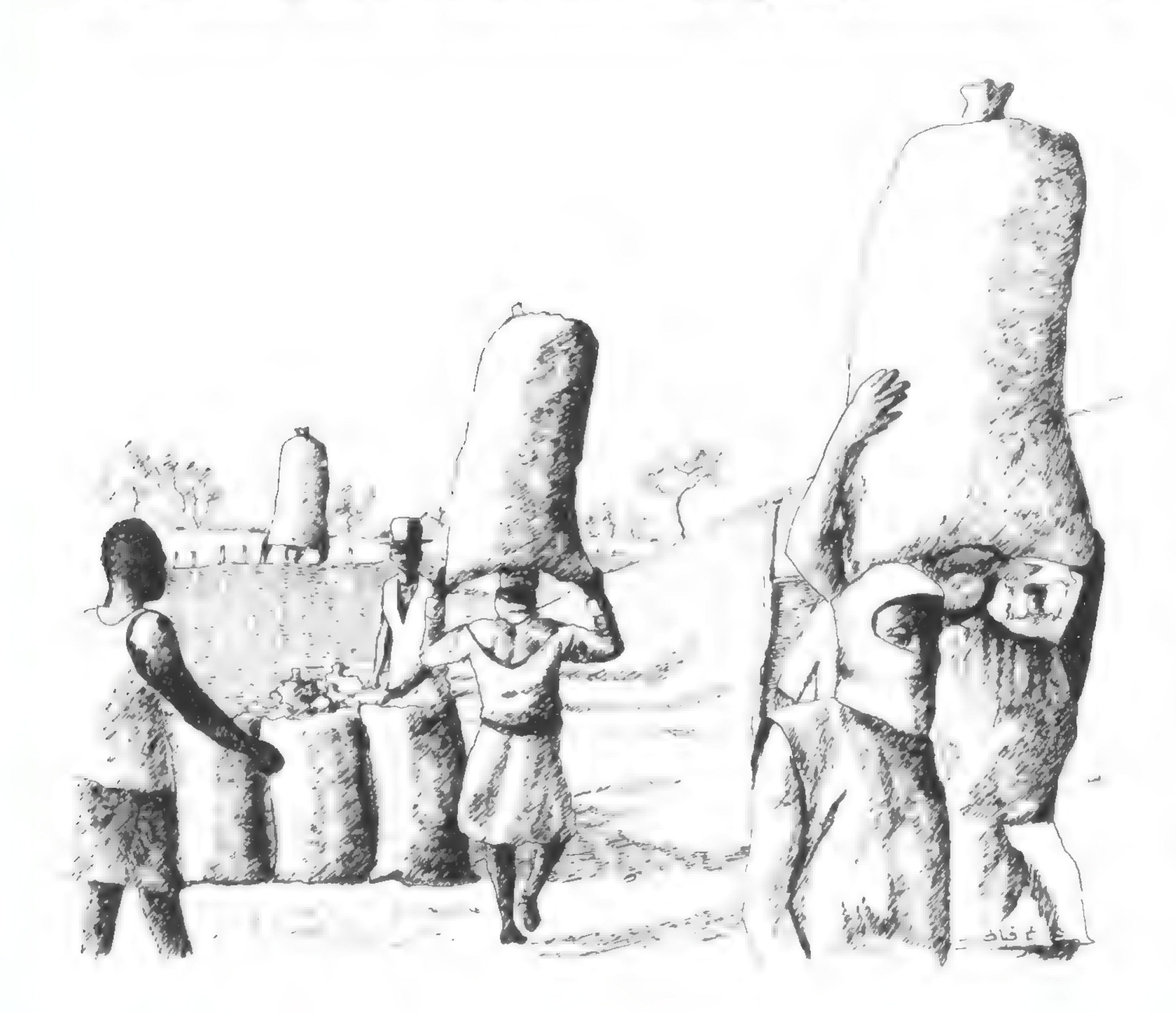

السنغال والقيم الأفريقية

كانت مناسبة طيبة اغتنمتها للاطلاع ميدانيا على ملامح ثقافة هذا القطر الإسلامي الأفريقي، والتعرف إلى طبيعة شعبه المسلم، ورؤية معالم البلد، وإدراك الروابط التي تربطه بمسلمي أمته، وفهم احتياجاته، وتطلعاته حاضرا.

ففي الثاني والعشرين من شهر مارس عام ١٩٨٣، قمت ضمن وفد من جامعة الكويت بزيارة السنغال بمناسبة إقامة الأسبوع الثقافي الرابع لجامعة الكويت في مدينة داكار عاصمة السنغال.

ولعل من أفضل السبل لإعطاء هذه الجولة قيمة عامة للسنغال للقراء بشكل الإطار المصور والذي يستطيع القارئ أن يرى حقيقة الأبعاد ووضع الحقائق والصور في مكانها الصحيح.

جغرافية السنغال في سطور

تقع جمهورية السنغال في الطرف الغربي من منطقة أفريقيا الغربية. ويحدها من الشمال جمهورية موريتانيا الإسلامية، ومن الشرق جمهورية مالي، ومن الجنوب الشرقي جمهورية غينيا الشعبية، ومن الجنوب جمهورية غينيا بيساو. وتداخل جمهورية جامبيا في الأراضي السنغالية الجنوبية، وكأنها سكين تشق جنوب السنغال وتفصله عن الأراضي الواقعة إلى الشمال منه. وقد كانت السنغال مستعمرة فرنسية، حتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٠ حيث حصلت على استقلالها، وأصبحت عضوا في هيئة الأمم المتحدة. وكان ليوبولد سيدار سنجور Leopold Sedar Senghor أول رئيس لجمهورية السنغال.

وتبلغ مساحة السنغال نحو ١٩٦,١٩٢ كيلومترا مربعا، وعدد سكانها حوالي ٥,٧ مليون نسمة، وتصل نسبة المسلمين بينهم إلى نحو ٨٥٪.

وللسنغال حدود بحرية يبلغ طولها حوالي ٦٠٠ كيلومتر تطل على المحيط الأطلسي، وهي أقرب أجزاء الساحل الأفريقي لسواحل أمريكا الجنوبية والوسطى، ولذلك اكتسبت أهمية استراتيجية خاصة فيما يتعلق بخطوط النقل والمواصلات البحرية والجوية عبر الأطلسي.

وأرض السنغال سهلية منبسطة على العموم تغطيها الكثبان الرملية في الشمال قرب الحدود الموريتانية. وفي الجنوب تقطع هذه السهول الرملية مجاري

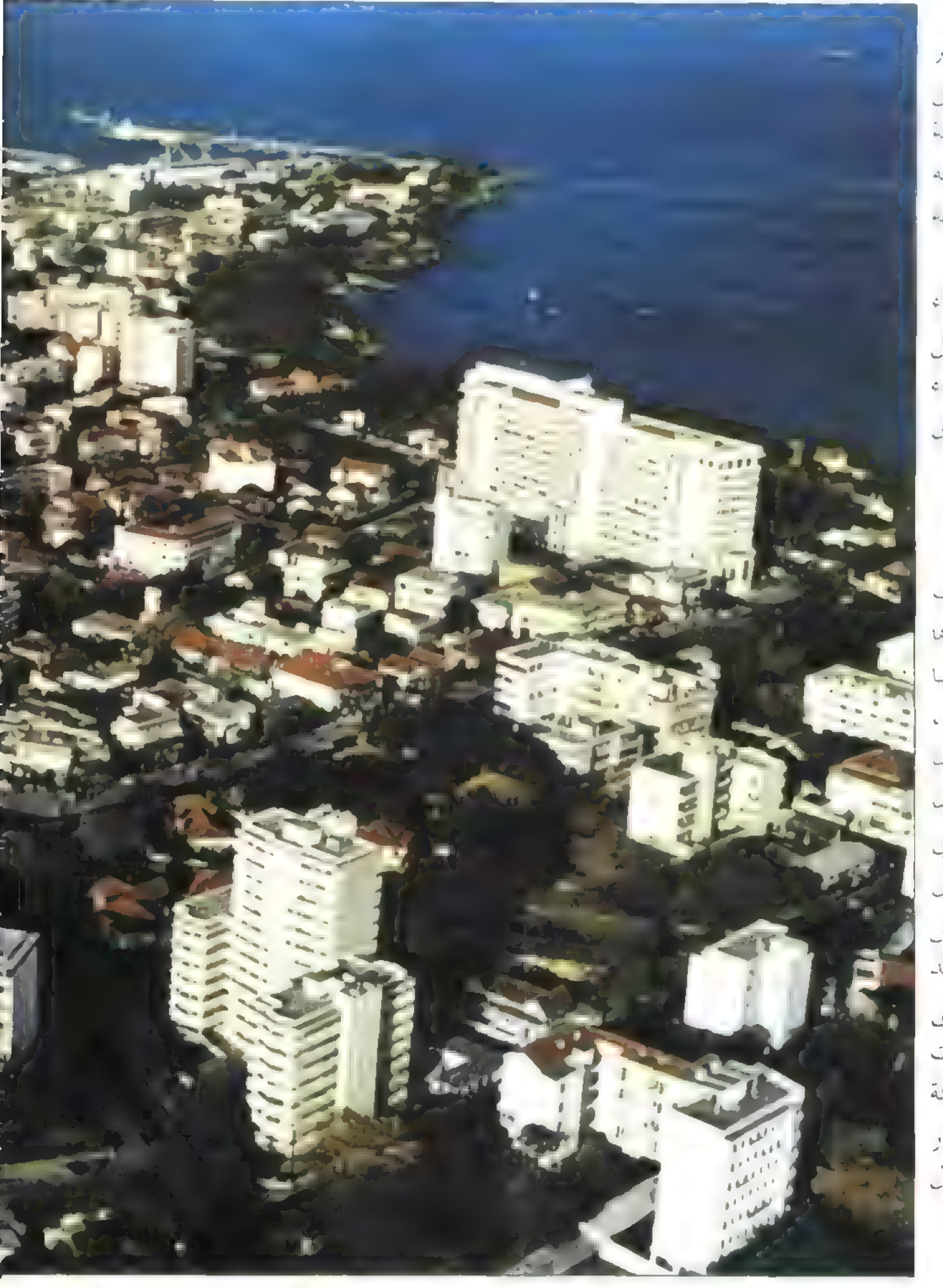

من الانهار الخليجية .

ومناخ السنغال مداري تسوده المظاهر الصحراوية الجافة شمالا ، وتزداد نسبة الرطوبة كلما اتجهنا جنوبا وغربا ويتميز المناخ بالحرارة الشديدة على مدار السنة . اما المطر فيكون سقوطه في فترة تمتد ما بين شهري يوليو واكتوبر . ولكنه يقل كلما اتجهنا شمالا ويكثر في الجنوب اذ تتراوح الكمية الساقطة سنويا ما بين ٥٠٠ و ١,٨٠٠ ملليمتر .

وتنمو في السنغال حشائش السافانا المختلطة ببعض الاشجار التي تزداد في الجنوب وتقل في الشمال . وتربى على هذه الحشائش الكثير من حيوانات الماشية . ويشق ارض السنغال ثلاثة انهار تجري من الغرب الى الشرق وهي : نهر السنغال في الشمال ، ونهر جامبيا في الوسط ، ونهر كازامانس في الجنـــــوب .

ويقطن السنغال الكثير من القبائل أهمها « الولف » وهم يشكلون حوالي ثلث سكان البلاد وينتشرون غالبا في شمال السنغال . اما قبائل « السرير » فيتركزون في غرب منطقة « سين سالوم » وهناك قبائل أخرى مثل « البيل » الذين هم من اصل بربرى ، و « التوكولور » و « الماندنغ » .

ويعتبر السنغال المدخل الطبيعي لأفريقيا الوسطى والغربية بحكم موقعها الجغرافي الفريد ، فهي همزة وصل بين الساحل والداخل وبين افريقيا الصحراوية وافريقيا المدارية والاستوائية . فمن مدينة « دكار » تمتد الخطوط لاتصال بمدينة « باماكو » ثم « تومبكتو » في جمهورية مالي . وقد سلكت هذا الطريق القوافل التي كانت تتنقل ما بين الجزائر والشمال الافريقي من ناحية ، وبين غرب افريقية ووسطها من ناحية اخرى . وعن هذا الطريق دخل الاسلام الى افريقيا السوداء . ونظراً لأهمية الموقع الجغرافي للسنغال ، اصبحت إبان فترة الاستعمار الفرنسي مركزا للحاكم الفرنسي لسائر البلدان الافريقية الوسطى والغربية الخاضعة للسيطرة الفرنسية . وكانت مدينة « سانت لويس » الواقعة في اقصى شمال غرب السنغال مقرا دائما للحاكم الفرنسي .

كيف ومتى دخل الإسلام إلى السنغال ؟

يقول الدكتور الحاج روحات امبى مدير المعهد الاسلامي بدكار ،

منظر عام لمدينة دكار ، عاصمة السنغال ، مع مستشفى بحري فرنسي

وهو احد الشخصيات البارزة في السنغال بأن لبني « مدرار »، مؤسسي مدينة « سجلماسة » بالمغرب ، الفضل في إدخال الاسلام الى البلاد في القرن التاسع الميلادي . وهو يستند في ذلك الى كتابات ابن حوقل والاصطخري والمقدسي . وهو يرى بأن التاريخ المؤكد لدخول الاسلام في السنغال بموجب الأدلة والبراهين المتوفرة يرجع الى بداية القرن الحادي عشر الميلادي او في عام ١٠٣٠ م تقريبا اي قبل ظهور حركة المرابطين في السنغال . وهذا ما اكده الجغرافي الشهير ابو عبيدة عبد الله البكري .

وقد أقبل على اعتناق الاسلام أول الأمر في السنغال وجوه القوم وعليهم واعيان البلاد وكثير من افراد الطبقات العليا . اما عامة الناس وسوادهم فظلوا متمسكين بالعقائد الوثنية التي كانت شائعة بينهم .

ولكن وبعد مضي فترة تقدر بنحو اربعة قرون ، اخذ الاسلام ينتشر بين سائر الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم بفضل عوامل كثيرة لعل منها بساطة التعاليم الاسلامية وسماحة الاسلام وكونه أقرب الى حياة الفطرة . وانتشار مراكز تعليم القرآن الكريم . ونشأة الطرق الصوفية وتوسعها في نشر الدعوة الاسلامية وحثها على تعلم اللغة العربية ، الى جانب نفر من المسلمين الذين قاموا بالجهاد لاعلاء كلمة الحق والقضاء على الوثنية ودعم الدعوة الاسلامية بالقوة التي تحميها من الارتداد والانتكاس وتطهير العقيدة مما علق بها من معتقدات وثنية .

وقد تأسست المدارس الدينية ومراكز تعليم القرآن الكريم أول الأمر على طول نهر السنغال وخاصة عند « فوت طور » قرب الحدود الموريتانية . وفي الجنوب الشرقي من البلاد، أنشأت قبيلة « مندك » المسلمة مراكز اسلامية في المدن ساعدت على نشر الدين وترسيخه . ومنذ أواخر القرن السادس عشر اخذ التعليم الديني ينتشر في السنغال بشكل ملفت للنظر . ووفد الى السنغال طلبة من أقاليم افريقية نائية رغبة منهم في معرفة الدين . وكانت مدرسة « براكبر » اعظم المدارس الدينية في السنغال تخرج منها رجال كان لهم شأن كبير حيث أثروا في مجرى الحياة وتم على أيديهم الاطاحة بالحكومة الوثنية وقيام الدولة الاسلامية سنة ١٧٧٦ م .

ولما وقعت البلاد فريسة للاستعمار الفرنسي قام المسلمون بالدفاع عن استقلال بلادهم وحريتها مما شجع الكثير من أبناء السنغال على اعتناق هذا الدين . وأخذ الاستعمار الفرنسي يحارب الاسلام بمختلف انواع الاسلحة والحيل والخديعة والمكر والايقاع بين القبائل . ولما استتب الأمر للفرنسيين قاموا باتخاذ اجراءات مناهضة للاسلام منها ايجاد نوع من التوازن بين الاسلام والعقائد الوثنية كاقامة الهياكل والمحاكم التقليدية والتقليل من شأن المحاكم الاسلامية . وفي سنة ١٩١١، وضع الحاكم الفرنسي لافريقيا الغربية نظام المراقبة الادارية التي فرضها على رجال الدين المسلمين ، وتنص على ما يلي :

★ تحديد انتقال رجال الدين وضرورة حصول كل واحد منهم على تصريح مرور اذا اراد السفر والانتقال الى داخل البلاد . وكان من شأن هذا الاجراء وضع العقبات والعراقيل امام الدعاة منهم الذين نجحوا في نشر الاسلام بين القبائل الوثنية .

★ ضرورة الحصول على إذن خاص حين القيام ببناء مسجد أو مدرسة أو مركز لتعليم القرآن الكريم من السلطات الفرنسية .

وعلى الرغم من كل هذه التدابير لم يفلح المستعمرون في منع انتشار الاسلام وتبين لهم بان الدين ينتشر بفضل جوهره وسهولة مبادئه وتقبل الناس له اكثر من اي عامل آخر . وكان مما يساعد على هذا الانتشار التجاء الدعاة الى وسائل اخرى لعل أهمها الطرق الصوفية والتي لاقت الاستحسان والقبول عند كثيرين من الافارقة لكونها تتمشى مع الحياة الجماعية عند هؤلاء الأقوام .

وكانت القادريّة أول طريقة صوفية دخلت البلاد اي في القرن الثامن عشر ، وتلتها الطريقة التيجانية ثم اللاهينية في سنة ١٨٨٣ ، والمريدية في سنة ١٨٩٥ .

وعلى الرغم من الدور الذي قامت به الطرق الصوفية في السنغال والذي تمثل في نشر الاسلام وإقامة المراكز الاسلامية ، ومقاومة الاستعمار فإن الكثير من البدع قد امتزجت بتعاليمها . وبالغ المنتسبون الى هذه الطرق في تقديس شيوخها ومؤسسيها ونسبوا اليهم الكثير من الكرامات التي قد يصل بعضها الى مستوى المعجزات وحادوا عن السنة الصحيحة مما قد يرقى الى مرتبة تشويه الاسلام ، الأمر الذي أدى الى قيام بعض العلماء بمحاولة إعادة تصحيح هذا المسار الخاطىء . ولعل من أبرز هؤلاء الحاج «مالك سي» ١٨٥٣ — ١٩٢٢ و «احمد بمبة امبك» ١٨٥٣ — ١٩٢٧ . وكان الأول يمثل الاتجاه العلمي بينما يمثل الثاني الاتجاه الصوفي ، ولكن هدفهما كان واحدا وهو تنقية الدين مما علق به من بدع وخرافات وخزعبلات والعودة الى نبعه الصافي وأصوله المتينة .

الأوروبيون وتجارة الرقيق

إن الفرق واضح وكبير بين الذين حملوا الاسلام الى السنغال فأشاعوا المحبة والمساواة بين الناس ، وبين الأوروبيين الذين جاءوا يحملون أسلحة الفتك والدمار ليسوقوا بها الرجل الأسود كما تساق حيوانات الغابة مكبلا بالقيود والاغلال ويحشرونه في سفن ليباع في العالم الجديد .

ولا تزال وصمة العار هذه في جبين الاوروبي ممثلة في جزيرة « جوري — Goree » والتي اتخذت مركزا لتجميع الرقيق . ونظرا لأهمية المكان وتاريخه، فقد زرت هذه الجزيرة التي ارتبط اسمها عالميا بتجارة الرقيق . والجزيرة تقع قبالة مدينة « دكار » على ساحل السنغال ، في المحيط الاطلسي . وتبعد عن العاصمة دكار بنحو خمسة كيلومترات .

وتتمتع الجزيرة بموقع جغرافي استراتيجي هام، فهي قريبة جدا من ساحل غرب افريقيا الذي كان يجلب منه الرقيق . وهي في الوقت نفسه أقرب الى امريكا التي كانت تعتبر السوق الرئيسي لتجارة الرقيق . وتحيط بالجزيرة الصخور والكتل الصخرية، والمياه عندها عميقة مما يسهل الدفاع عنها ويساعد على عمل التحصينات اللازمة .

ولا يزال المبنى الذي كان يحشر فيه الرقيق القادمين من انحاء افريقيا الغربية قائما في الجزيرة ويقصد هذا المبنى اليوم الكثير من السياح حيث يستمعون الى شرح مفصل لطريق العذاب الذي كان يسير فيه الرقيق .

وهذا المبنى مؤلف من طابقين . يحتوي الأول من حجرات أو جحور — وهو الأصح — صغيرة وفي غاية الحقارة . وفي هذه الجحور أو الزرايات التي تتصل بعضها بواسطة ممرات ضيقة ومتعرجة كان يحشر الرقيق حشرا ويكدسون فيها كما يكدس التجار بضاعتهم . وكانوا يصنفون في هذه الجحور حسب السن والحجم والنوع .

ونظرا لضيق الأمكنة وتكدس الرقيق فيها وانعدام الوسائل الصحية وارتفاع درجة الحرارة ونسبة الرطوبة فقد تعرض الكثير منهم للموت . وكان بعضهم يموت قبل ان يصل الى هذا المكان أثناء قطعه المسافات الطويلة من الجهات الافريقية المختلفة وفي ظروف مناخيه صعبه للغايه

وفي داخل هذا المبنى كان الرقيق يقيدون بالأصفاد والسلاسل الحديدية من الايادي والأرجل وفي وسط هذه السلسلة الحديدية كانت توضع كرة ثقيلة من الحديد تمنع الرقيق من الهرب وهو في السفينة التي تنقله الى امريكا . فاذا حاول الهرب غرق من ثقل هذه الكرة الحديدية ومات

وفي نهاية الدور السفلي من المبنى فتحة ضيقة تطل على المحيط . ومن هذه الفتحة يساق الرقيق الى السفينة التي تحمله الى العالم الجديد .

أما الطابق العلوي من المبنى فمؤلف من حجرات واسعة وحمامات ومطبخ وشرفات تطل على مياه المحيط . وكان يقيم في هذا الطابق تجار الرقيق الذين وفروا لأنفسهم جميع مستلزمات الراحة والمتعة على حساب حرية الانسان الأسود وانسانيته .

وكان ثمة متحف يحفظ ويعرض لاهم معالم الفن الافريقي . وهو يشرح تاريخ الظلم الذي كابده الانسان الافريقي الأسود على يد الاوروبيين . وكذا نرى على جدرانه بوادر الألم والانفعال وهو يتكلم عن مسيرة العذاب هذه . وشاهدنا على حوائط المتحف بوقفات معينة لكل الزوار — وغالبيتهم من الاوروبيين والامريكيين — وفيها يشجبون ما فعله اجدادهم بالرجل الافريقي . متناسين ما يفعلونه اليوم من مجازر في حق المعمورة وخاصة مساندتهم لاسرائيل التي اقترفت وتقترف كل يوم أبشع الجرائم في الشعب العربي والفلسطيني . وقد استوقفنا من هذا المكان وما حمله من حضور على جدران هذه العمارة نقش على حائط باسم جامعة الكويت

قال تعالى ﴿ يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ وقول عمر بن الخطاب « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » . إن هذا المكان وصمة عار في جبين الانسان الاوربي الذي ادعى أنه حمل مشاعل الحرية والحضارة الى افريقيه الرحيبة . إن هذا الانسان لا يزال يرتكب أبشع جرائمه في فلسطين والأراضي العربية حيث يزج في السجون والمعتقلات شعبا بكامله ويذيقه الذل والهــوان » .

في ضيافة الطرق الصوفية

يحرص الزائر للسنغال على مشاهدة المدن والمناطق التي ترتبط فيها الطرق الصوفية . واكبر هذه الطرق وأوسعها انتشارا هي الطريقة المريدية والطريقة التجانية . ومركز الأولى مدينة « طوبا » والتي تبعد نحو ٣٥٠ كيلومتر

غربي العاصمة دكار . وفي طريقنا الى «طوبا» مررنا بمدينة « تيـــس » التي تلتقي فيها الطرق وتتوزع الى كافة انحاء مدن السنغال وقراه .

وقبيل وصولنا لمدينة «طوبا» بنحو خمسين كيلومترا حذرنا المرافق من التدخين لأنه محرم وممنوع في حدود هذه المدينة . ووصلنا طوبا ظهرا . وهي عبارة عن مبان متفرقة والشوارع رملية ، ويتوسطها الجامع الكبير وبداخله مقام مؤسس الطريقة المريدية « احمد بمبه » المتوفى عام ١٩٢٧ .

المراكز الثقافية والعلمية

في السنغال مراكز ثقافية هامة تتمثل في جامعة دكار والمعهد الديني . فجامعة دكار تضم مختلف الكليات العلمية والأدبية ، والتدريس فيها باللغة الفرنسية . وفي الجامعة قسم للغة العربية يلتحق به كثير من الطلبة ولكنه في امس الحاجة الى الدعم والتشجيع من الأقطار العربية . فالقسم ينقصه الكثير من الكتب والمراجع العربية التي يحتاجها الدارسون . ولقد لفت انتباهنا النقص الواضح في هذا الجانب . وقد حدثنا الدكتور عبدالله الجنيدي ، رئيس القسم ، وهو من أصل جزائري ، عن حاجة القسم للكتب والمراجع العربية وأعضاء هيئة التدريس . ويتمنى السنغاليون على الأقطار العربية ان تبادر بالدعم العاجل لهذا القسم الذي اخذ على عاتقه تدريس اللغة العربية .

وقد الحق بجامعة دكار معهد أطلق عليه « المعهد الاساسي لافريقيا السوداء » ويضم بعض المخطوطات العربية التي تتناول علاقة العرب بأفريقيا وانتشار الأسلام فيها . والمعهد ايضا في حاجة الى مساعدة الدول العربية ليقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه .

أما المعهد الديني فهو اكبر معلم بارز في مدينة دكار يربط السنغاليين بأصول دينهم ، ويقوي الروابط بينهم وبين اشقائهم العرب . ويدرس في هذا المعهد علماء أجلاء يجيدون اللغة العربية . ومدير المعهد الدكتور الحاج روحان امبي وهو شخصية بارزة يعمل بكل طاقته لتقوية الروابط بين السنغال والبلاد الاسلامية عامة والاقطار العربية خاصة .

وقد لمسنا من اخواننا السنغاليين رغبة في تقوية علاقاتهم مع العرب . وهم يأملون من الدول العربية مساعدتهم للتغلب على التحديات التي تواجههم والمشاكل التي تعترضهم وتحاول زعزعة ايمانهم بدينهم . فالحركات التبشيرية تنشط هذه الايام على قدم وساق مستخدمة كل وسائل الاغراء ومتخذة اشكالا متعددة . ويرى اهل السنغال ضرورة التحرك العربي من اجل دعم المراكز والمؤسسات الاسلامية القائمة وتشجيع المدارس التي انشأها الاهالي لتعليم ابنائهم اللغة العربية وأصول الدين الاسلامي . والسنغال في حاجة الى انشاء المزيد من هذه المدارس التي يزداد الطلب عليها في المنطقة بكاملها . فالسنغال كما قلنا بوابة افريقيا ومدخلها وتأثيرها يتعدى حدودها السياسية ولذلك فان واجبنا نحو هذا القطر الاسلامي يدعونا الى التحرك السريع قبل فوات الأوان □

واجهة لأحد البيوت الريفية المبنية من الطين وقد ازدانت بالزخارف والألوان .

السُّنَّة

اشتقاقها ودلالاتها عند العلماء

بقلم: د. مسفر غرم الله الدميني / الرياض

السُّنَّة: في اللغة معانٍ متعددة، [illegible] في اصطلاح [illegible] حسب تخصصاتهم معانٍ أخرى، ونستعرض [illegible] ذلك شيء من التفصيل.

[illegible] في الأصل: سنّة الطريق، يقال: سنّ فلان طريقاً من الخير، اذا ابتدأ أمراً من البرّ لم يعرفه قومه فاستسنوا به وسلكوه، ويقال للطريق المسلوك «مسنسن» بفتح المهملة الثانية وكسرها، وهو كل طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم، يقال: سن الطريق سنا وسننا، و «السّن» المصدر، و «السنن» الاسم بمعنى «المسنون»، و «السُّنَّة» السيرة حسنة كانت أو قبيحة.[1]

ومن خصّ السنة بالسيرة الحسنة فقط، أخذها من قولهم: «سننت الابل» اذا احسنت رعْيتها والقيام عليها، ولذلك قيل: «فلان من أهل السنة» أي من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة.[2]

وتطلق السُّنَّة على «الصورة» يقال: سننته، أسُنه، سناً، اذا صورته، «وسُنّة الوجه»: صورته، يقال: «وجه مسنون» أي مخروط أسيل كأنه قد سُنّ عنه اللحم.

وفي الصحاح: «رجل مسنون الوجه» اذا كان في أنفه ووجهه طول. قال تعالى: ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون** ﴾[3]. الحمأ: جمع حمأة، وهو: الطين المتغير الى السواد، وقوله: ﴿ **مسنون** ﴾ يعني متغير، كأنه أُخذ من «سننت الحجر على الحجر» وذلك ان يحك أحدهما بالآخر، يقال منه: سننته. أسُنه سنّاً فهو مسنون» ومنه سُمي «المسن» لأن الحديد يُسنّ عليه. قاله الطبري.[4]

ساق باسناده الى ابن عباس قوله في تفسير الآية: هو التراب المبتل المنتن، كما أورد نحوه عن مجاهد وقتادة ومعمر [illegible]

[illegible]

[illegible]

عليه»: أي فرّقه عليه. ومنه الحديث «كان يُسنّ الماء على وجهه ولا يشنه» أي كان يصبّه على وجهه صبّاً سهلاً ولا [illegible]

وللسُّنة اطلاقات اخرى: فالسُّنَة: الدُّبَة أو الفهْدة، قاله [illegible]

[illegible] الخط الاسود على متن الحمار

والسُّنة: ضرب من تمر المدينة معروفة.

والسُّنة: الطبيعة، حيث فسر بها بعضهم قول الاعشى.

كريم شمائله من بني معاوية الأكرمين السُّنن[7]

ولفظ «سُنّة» ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة يختلف المراد بها حسب سياق الآية أو الآيات، ففي سورة الانفال آية «٣٨» ورد قوله: ﴿ **وان يعودوا فقد مضت سنت الأولين** ﴾ فوقعت مضافة الى الأولين، وكذا في سورة الحجر: «١٣»، وسورة الكهف: «٥٥»، وسورة فاطر: «٤٣»، قال [illegible]

[illegible]

[illegible] العقوبة لهم في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

وقد ورد قوله ﴿ **سُنّة الله** ﴾ في سورة الأحزاب «٣٨ ــ ٦٢»، وفي سورة غافر: «٨٥»، وفي سورة فاطر «٤٣»، وفي سورة الفتح: «٢٣»، والمراد بها في كل ما تقدم هو أخذ الكافرين بالعقوبة، ويستثنى من ذلك الموضع الأول في سورة الأحزاب وهو قوله تعالى ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له. سُنّة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا** ﴾. أي هذا ونحوه هو السّنن الأقدم في الأنبياء ان ينالوا ما أحله الله لهم، اي: سنّ الله سُنة واسعة، والذين خلوا: هم الأنبياء بدليل وصفهم بعد قوله: ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله** ﴾.[8]

أما قوله تعالى: ﴿ **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم** ﴾ أي يُسددكم سبل الذين من قبلكم من أهل

الحق والايمان بالله وأنبيائه ومناهجهم فيما حرم عليهم من نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر ما حرّم في الآيتين .(١٠)

وقيل : يُبَيّن لكم طرق الذين من قبلكم من أهل الحق وأهل الباطل .

وقيل : يعرّفكم سنن الذين من قبلكم انهم لما تركوا أمري عاقبتهم وانتم اذا فعلتم ذلك لا اعاقبكم ولكني اتوب عليكم(١١)

فالسُّنَن هنا يحتمل ان تكون سُنن اهل الحق ويحتمل ان تكون سُنن أهل الباطل ويحتمل أن تكون أعم من ذلك فتشمل سُنن السابقين عموما ، وعلى هذا المعنى الأخير تكون السُّنة حسنة كما تكون سيئة .

كما جاء في سورة الإسراء «٧٧» قوله : ﴿ **سُنّة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا** ﴾ وهذه في العذاب بحيث لا يلبثون خلافه الا قليلا .

وفي سورة آل عمران «١٣٧» قوله : ﴿ **قد خلت من قبلكم سُنَن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ وهذه كذلك في عقاب من كذب الأنبياء ، قال مجاهد : أي بالهلاك فيمن كذّب قبلكم كعادٍ وثمود .

هذه هي المواضع التي وردت فيها « سُنة » واشتقاقاتها في القرآن الكريم وهي بمعنى الطريقة المتبعة سواء كانت من الأمم السابقة في حياتهم ومواقفهم من رسلهم ، أو من الله تعالى في مجازاتهم على كفرهم . أو من الأنبياء في نَيْلهم ما أحلّ الله لهم من الطيبات .

وقد استعملت في السيرة الحسنة والسيئة على السواء ، وعلى هذا فتخصيصها بالسيرة الحسنة فقط لا وجه له .

يرى بعض العلماء التفريق بين تعريف الفقهاء للسنّة وبين تعريف علماء أصول الفقه لها ، فالأصوليون ينظرون الى السُّنة باعتبارها دليلا من أدلة الشرع التي تثبت بها الأحكام ، فيجعلونها الأصل الثاني من أصول التشريع بعد القرآن الكريم .

وعلى هذا قالوا : كل ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو ولا هو معجز ولا داخل في المعجز : سواء كان قولًا له أو فعلًا أو تقريراً يدخل تحت مسمى « السنّة » .(١٣)

وهم يعنون بالمعجز القرآن الكريم ، ذلك ان ما يصدر عن رسول الله ﷺ نوعان : وحي متلو معجز النظام ، ووحي غير متلو ولا معجز التركيب ، فالأول القرآن ، والثاني السُّنة النبوية ، وكون السُّنة مما أوحى به الله الى رسوله ﷺ ثابت بنص القرآن الكريم . قال الله تعالى : ﴿ **واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتٰب والحكمة يعظكم به . واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم** ﴾(١٤) . والحكمة هنا المقصود بها السُّنة النبوية ، قال الشافعي : سمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمةُ سُنّة رسـول الله(١٥) ﷺ .

والحنفية في تعريف السنة يزيدون على غيرهم من الأصوليين أمرا هو : شمول السُّنة لما صدر عن الصحابة رضوان الله عليهم ، قال السرخسي : المراد بالسُّنّة شرْعاً : ما سنّه رسول الله ﷺ والصحابة بعده ، ثم قال : فاطلاق هذا اللفظ (يعني السُّنة) لا يوجب الاختصاص بسُنة رسول الله ﷺ فقد قال عليه السلام : من سَنّ سُنّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سَنّ سُنّةً سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة »(١٦) والسَّلف كانوا يطلقون اسم السُنة على طريقة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكانوا يأخذون البيعة على سُنّة العُمَرين ، وقال عليه السلام : « عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين من بعدي عـضُّوا عليها بالنواجذ » .(١٧) اذا ثبت هذا فنقول : حكم السُّنة هو الاتباع ، فقد ثبت بالدليل ان رسول الله ﷺ متَّبع فيما سلك من طريق الدين قولا وفعلا ، وكذلك الصحابة بعده . وهذا الاتباع الثابت بمطلق السنة خال عن صفة الفرضية والوجوب الا ان يكون من أعلام الدين فان ذلك بمنزلة الواجب في حكم العمل .

وال يوافق الحنفية في هذا الشمول جمهور العلماء ، فهذا الشافعي ، رحمه الله تعالى ، يجعل مطلق السُّنة يتناول سُنّة رسول الله ﷺ فقط لأنه لا يرى تقليد الصحابي(١٩) ، وكذا جمهور الفقهاء على ذلك ، وهو الصحيح ان شاء الله تعالى .

أما الفقهاء الذين قسموا الأحكام الشرعية الى خمسة أقسام :

واجب : وهو ما يستحق تاركه العقاب على تركه .

ومندوب : وهو ما يمدح على فعله ولا يُذم على تركه .

ومباح : وهو ما استوى جانباه في عدم الثواب والعقاب .

ومكروه : وهو ما لا ذمّ على فعله ، او ما نُهي عنه نَهْي تنزيه .

ومحرم : وهو ما يستحق فاعله العقاب على فعله(٢٠) ، وكان من الاطلاقات على مسمى « المندوب » قولهم فيه « سُـنّة » أو « مُستَحَب » أو « نافلة » وعلى هذا يكثر استعمال الفقهاء للسُّنة بدل المندوب ، فيقولون : تشميت العاطس سُنّة ، أي أن فاعل التشميت يستحق الأجر على فعله ذلك ، ولو لم يُشَمِّت ذلك العاطس فلا إثم عليه .

لكن ذلك التقسيم المتقدم اخذناه من كتب الأصوليين لا الفقهاء ، فكانت نسبته الى الأصوليين أولى ، ويظهر — والله أعلم — أن البحث في هذا الأمر من جهة التقسيم الأصلي للأحكام الشرعية التكليفية مما اعتنى به الأصوليون ، وبالنظر الى

الاستعمال الفعلي في الأحكام وتطبيقه على الأدلة الشرعية بحيث يقال : هذا الأمر حكمه الوجوب أو الندب « السنّية » أو ذلك حكمه التحريم أو الكراهة أو الإباحة فهذا عمل الفقيه لا الأصولي ، ولا ننسى ان الاصول هي أصول الفقه ، أي أصول فهم الأحكام الشرعية ولا يكون المرء فقيها وهو يجهل أصول الفقه .

قال مكحول : السنّة سُنّتان : سُنّةٌ أخذُها هُدىً وتركُها ضلالة ، وسُنّةٌ أخذُها حسنٌ وتركُها لا بأسَ به [21] ، فالأول نحو صلاة العيد والأذان والاقامة والصلاة بالجماعة ، ولهذا لو تركها قوم استوجبوا اللوم والعتاب ، ولو تركها اهل بلدة وأصروا على ذلك قوتلوا عليها ليأتوا بها ، والثاني نحو ما نُقل من طريقة رسول الله ﷺ في قيامه وقعوده ولباسه وركوبه ، وسُننه في العبادات متبوعة ايضا ، فمنها ما يكره تركها ، ومنها ما يكون التارك مسيئا ، ومنها ما يكون المتبع لها محسناً ولا يكون التارك مُسيئاً ...[22] .

وهل السُّنّة « المندوبة » مأمور بها أو غير مأمور ؟ خلاف أصولي ، الراجح فيه دخولها في المأمور به ، ولا حاجة للتوسع في هذا الخلاف .

وللسُّنّة عند علماء العقيدة اطلاق آخر غير ما تقدم عن الفقهاء والأصوليين ، فهم يطلقونها في مقابلة « البِدْعة » فيقال لمن اتبع الكتاب والسُّنّة والسّلف الصالح ولم يُحَكِّم عقله في النصوص المتعلقة بأمر العقيدة : هذا من أهل السُّنّة ، ومن خالف ذلك وحادَ عنه : هذا « مبتدع » او من أهل البدعة .

واطلاق « السُّنّة » على من اتبع منهج السلف الصالح أمر قديم ، ثم كثُر استعماله بعد ظهور بِدَع الخوارج والشيعة والمعتزلة والجهمية وغيرهم من الفِرَق ، وبعد فتنة القول بخلق القرآن الكريم ، ولذلك كتب العلماء في بيان اعتقاد أهل السّنة والجماعة كتباً أسموها « السُّنّة » فهذا إمام اهل السّنة أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، يكتب رسالة في ذلك اسمها « السّنة » ولابنه عبدالله رسالة كذلك ، ولأبي بكر بن الاثرم ومحمد بن نصر المروزي ، واحمد بن محمد الخلال ، وأبي عبدالله بن أبي زمنين ، وأبي القاسم اللالكائي لكل من هؤلاء كتاب اسمه « السّنة » وموضوعه ما قدمنا من إيضاح معتقد أهل السّنة والجماعة ودليل ذلك من كتاب الله وسُنّة نبيّه محمد ﷺ الصحيحة الثابتة عنه وأقوال الصحابة والتابعين في فهم تلك النصوص وفي موقفهم من أهل البِدَع والضلالات .[23]

ولهذا جاءت تسمية من اتخذ ذلك المنهج سبيلا له « بأهل السُّنّة والجماعة » مقابلة للمبتدعة من أهل الفِرَق المنحرفة عن المنهج الصحيح في فهم الكتاب والسنة النبوية .

ويعرِّف المحدّثون « السُّنّة » بقولهم : ما أضيف الى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية [24] .

وعبروا بـ « أضيف » ليشمل كل ما نُسِب اليه ﷺ ، سواء صح سَنَده اليه أو لم يصح ، ذلك ان عملهم هو التحقق من ذلك المضاف أهو صحيح فيجزمون بنسبته اليه أم غير ذلك فيعطونه من العبارات ما يستحق كالضعيف والموضوع ونحو ذلك .

ومثال القول : حديث عمر بن الخطاب في النية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » [25] . فكل حديث يقول فيه الصحابي : سمعت رسول الله ، أو حدثنا رسول الله ، أو قال رسول الله ونحو ذلك فهو داخل في القول .

ومثال الفعل : حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ، ﷺ ، كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبّر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضا وقال : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ، وكان لا يفعل ذلك في السجود » [26] فكل حديث يبين فيه الصحابي فعلا من أفعال النبي ﷺ ، نحو قيامه وجلوسه وركوبه ونومه وغير ذلك من الأمور التي يفعلها النبي ، ﷺ ، بحضرة صحابته داخل في الفعل الصادر عنه .

ومثال الإقرار : حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ، ﷺ ، وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه . فدخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ، ﷺ ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : دعهما ، فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وكان يوم عيد يلعب السودان بالدّرق والحراب فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال : تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم . فأقامني وراءه خدّي على خده وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة . حتى اذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم . قال : فاذهبي .[27]

فعندما دخل رسول الله ﷺ على عائشة ووجد عندها جاريتين تغنيان لم ينه الجاريتين عن الغناء وأقرها على ذلك ، كما لم ينه عائشة رضي الله عنها عن الاستماع لغناء الجاريتين وأقر ذلك الفعل . فلو كان حراما ما أقر عليه ولنهى عن ذلك وبيّن حرمته . لكنه لم يفعل . فدلّ إقراره على جواز ذلك الفعل .

وفي الحديث إقرار آخر وهو اللعب بالدّرق والحراب ، والنظر من النساء للرجال في تلك الحال ، وفيه صفة من صفات خُلق رسول الله ، ﷺ وهي : حسن الخلق وطيب المعشر ، وهذا يوضحه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في مثال صفات النبي ، ﷺ ، الخُلُقية قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقا ، وكان لي اخ صغير يقال له : أبو عُمَير ، قال : احسبه فطيم ، وكان اذا جاء قال : يا أبا عُمَير ما فعل النُّغَير ؟ ، نُغَر كان يلعب به . فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيُكنَس ويُنْضَح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا .[28]

وهذا الحديث فيه فوائد كثيرة جدا منها ما استشهدنا به لأجله وهو صفة خُلق النبي ﷺ في سموه وتواضعه ومخاطبته

للطفل الصغير وسؤاله عن الطائر الذي كان يلعب به ، وفي هذا « إقرار » منه ، ﷺ ، على جواز لعب الصغار بالطيور ، و « فعل » في صلاته على الحصير بعد نضحه ، و « قول » في سؤاله للصغير .

فكل حديث فيه فعل من صحابي وقع تحت نظر النبي ، ﷺ ، وعلمه فأقرَّ ذلك الفعل ولم ينه عنه فهو دليل على جوازه .

ومثال الصفة الخلقية حديث أنس الآخر قال : كان رسول الله ، ﷺ ، أزهر اللون ، ليس بالآدم ولا بالأبيض الأمهق [٢٩] . فكل حديث يشمل وصفا لخِلْقة النبي ، ﷺ ، سواء لبشرته او طوله أو شعره او غير ذلك من الصفات الجسدية التي تبين خِلْقة النبي ، ﷺ ، التي خلقه الله عليها فهي داخلة تحت قولنا : « الاخيرين — أي الصفة الخُلُقية والخِلْقية — بينما تهتم كتب الاحكام بالأنواع الثلاثة الأولى وجَميعها داخلة تحت اسم « السُّنة النبوية »

أما قول الصحابي : « من السُّنّة كذا » نحو قول علي رضي الله عنه : « من السُّنة وضع الكف على الكف في الصلاة تحت السُّرّة » [٣٠] وقول ابن الزبير : « صف القدمين ووضع اليد على اليد من السُّنّة » [٣١] .

أو قولهم : « مضت السُّنة » أو « ذلك الأمر هو السُّـنة » نحو قول مالك : عن ابن شهاب انه سمعه يقول : مضت السُّنّة ان العبد اذا عتق تبعه ماله » [٣٢] فقد اختلف العلماء في جَعْله من نوع المرفوع أو الموقوف ، وان كان الاكثر على ان ذلك مرفوع ، ونقل ابن عبد البر الاتفاق عليه ، وفيه نظر ، حيث نقل عن الشافعي في أصل المسألة قولان ، وذهب الى انه غير مرفوع ابو بكر الصيرفي من الشافعية ، وابو بكر الرازي من الحنفية ، وابن حزم من اهل الظاهر ، واحتجوا بان السُّنة تتردد بين النبي ، ﷺ ، وبين غيره ، انتهى . لكن هذا التردد بعيد ، فقد روى البخاري في صحيحه قال : كتب عبدالملك الى الحجاج أن لا تخالف ابن عمر في الحج ، فجاء ابن عمر رضي الله عنهما وانا معه (الراوي : سالم بن عبدالله بن عمر) يوم عرفة حين زالت الشمس فصاح عند سرادق الحجاج فخرج وعليه ملحفة معصفرة ، فقال : مالك يا ابا عبدالرحمن ؟ فقال : الرواح ان كنت تريد السُّـنّة ، قال : هذه الساعة ؟ قال : نعم ، فانظرني حتى افيض على رأسي ثم اخرج ، فنزل حتى خرج الحجاج ، فسار بيني وبين ابي فقلت : ان كنت تريد السُّنّة فاقصر الخطبة وعجّل الوقوف ، فجعل ينظر الى عبدالله ، فلما رأى ذلك عبدالله قال : صدق [٣٣] . قال ابن شهاب لسالم : أفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال : وهل يعنون بذلك إلا سُنّته ﷺ ؟! .

فنقل سالم — وهو أحد الفقهاء السبعة من اهل المدينة ، وأحد الحُفّاظ من التابعين — عن الصحابة انهم اذا أطلقوا السُّنّة لا يريدون بذلك إلّا سُنّة رسول الله ، ﷺ ، لكنهم تركوا الجزم بذلك تورعا واحتياطا [٣٤] .

واذا قال غير الصحابي كالتابعي ومن دونه : من السُّنّة كذا فهو في حُكم المرفوع ما لم يضفها الى صاحبها نحو سنة العمرين ، وقيل : ليس له حُكمُ الرفع ، وهو أولى في نظري ، لأن التابعي ومن دونه قد يريد سُنّة ابي بكر أو عمر فالحكم له بالرفع فيه شبهة قوية ، واذا كان الخلاف ظاهرا في صدور ذلك من الصحابي فكيف به اذا صدر من التابعي ، والاحتياط في هذا اولى الأمور بنا .

هذا بعض البيان للسُّـنّة في نظر علماء اللغة والفقه والعقيدة والحديث ، أرجو أن أكون قد جلّيت جوانبه المختلفة للقاريء الكريم والله الهادي الى سواء السبيل □

---

١ — لسان العرب لابن منظور مادة سُنن ١٣ : ٢٢٥
٢ — المرجع السابق ١٣: ٢٢٥ — ٢٢٦
٣ — سورة الحجر: ٢٦
٤ — تفسير الطبري ١٤ : ٢٨ — ٢٩
٥ — لسان العرب ١٣ : ٢٢٧
٦ — المرجع السابق
٧ — نفسه ١٣ : ٢٢٦ ، وورد البيت « كريما » بالنصب في موضع آخر
٨ — تفسير القرطبي ٤ : ١٩٥ — ١٩٦ والآية من سورة الأحزاب : ٣٨
٩ — سورة الأحزاب: ٣٩
١٠ — تفسير الطبري ٥ : ٢٦ — ٢٧
١١ — تفسير القرطبي ٥ : ١٤٨
١٢ — المرجع السابق ٤ : ٢١٦
١٣ — الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ١ : ١٢٧
١٤ — سورة البقرة : ٢٣١
١٥ — الرسالة للشافعي ص ٧٨
١٦ — رواه مسلم والنسائي وأحمد
١٧ — رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد
١٨ — أصول السرخسي ١ : ١١٤
١٩ — المرجع السابق
٢٠ — الأحكام للآمدي ١ : ٧٤ — ٩٧
٢١ — لفظ الدارمي : « ... الأخذ بها فريضة وتركها كفر ، وسُنّة الأخذ بها فضيلة وتركها الى غيره حرج » سنن الدارمي ١ : ١١٧ المقدمة .
٢٢ — أصول السرخسي ١ : ١١٤
٢٣ — انظر مقدمة محقق شرع اعتقاد اهل السنة والجماعة لـ اللالكائي .
٢٤ — تدريب الــــراوي
٢٥ — متفق عليه واللفظ للبخاري ١ : ٢
٢٦ — صحيح البخاري ١ : ١٧٩
٢٧ — متفق عليه واللفظ لمسلم ٢ : ٦٠٩
٢٨ — رواه البخـــاري ٧ : ١١٩
٢٩ — متفــق عليــه
٣٠ — سنن أبي داود ١ : ٤٨٠
٣١ — المرجـــع الســابق ١ : ٤٧٩
٣٢ — الموطــأ لمالــك ٢ : ٧٧٥
٣٣ — صحيح البخــاري ٢ : ١٧٤
٣٤ — شرح نخبة الفكر لابن حجر ص ٥٤

قصـة قصـيرة

أصدقاؤه الجدد

بقلم: الأستاذ محمد صالح ابراهيم / الخرطوم

انهم جماعة من أعيـان المدينـة تجمعهم الصداقة الحميمـة والثراء العريض، ويتزعمهم الاستاذ عبدالرازق، ناظـر المدرسـة الداخليـة بالمدينة، وهو متزوج من امرأة وديعة مخلصة، لم ينجب منها ولدا. وقد ورثت من أبيها ثروة طائلة وهي على وفاق تام مع زوجها.

واشتهر الاستاذ عبدالرازق بكرمه وعطفه على أصدقائه ومعارفه وأساتذة المدرسة وتلاميذها جميعا، يدعوهم الى مأدبة غداء فاخرة يقيمها لهم بمنزله مرة كل شهر. وقد علق على حائط غرفة الطعام لافتة أنيقة كتب عليها بالخط الجميل ﴿ **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا** ﴾ صدق الله العظيم.

وحلّ موعد المأدبة وتقاطر المدعوون وامتلأت بهم غرفة الطعام. وبينما هم في مرح وسرور يتناولون ما لذّ وطاب، ويتجاذبون أطراف الحديث في موضوعاتٍ شتى، اذا بأحدهم يبارك للأستاذ الناظر، القصر المنيف الذي اشتراه فيتبعه الآخرون مهنئين على بركة الله. فيشكرهم ويعقب قائلا: انه فعلا معجب بالقصر وقد اشتراه ولكن لم يدفع الثمن، فموعد الدفع بعد شهر ان شاء الله. ثم أضاف في صوت خفيف. إني أخشى بعد الدفع ان ينزل رصيدي في البنك الى الصفر.

وبعد مضي أيام، لاحظت الزوجة ان سلوك الأستاذ قد بدأ يتغير لأول مرة في حياتهما الزوجية. كان مرحاً نشيطاً، فقلّ مرحه ونشاطه، وكان يأكل وجبته الغذائية بشهية ففقد شهيته للطعام.

دخلت عليه مرّة في غرفته فألفته صامتا والدمع على خدّيه، فهالها أمره، وسألته ما خطبه فلم يرد، وأصرّت على ان تسمع منه ما اصابه فلم يجب. وإزاء إلحاحها عليه، قال في ضيق وتنهد مكبوت: الولد! الولد!

وجاء يوم المأدبة لأصدقائه فأقيمت كالعـادة طعـاماً شهيـا موفـوراً. والأسـتاذ عبدالرازق جالس ينتظر. قالت له الزوجة: إني أراك اليوم وقد زال عنك الحزن الذي لم تخبرني عن سببه. فقال لها: اصبري ان الله مع الصابرين. قالت اني في حيرة من امرك. لقد تغيرت تباعا خلال هذا الشهـر من حـالٍ الـى حـالٍ، فمـاذا دهاك يا زوجي العزيز، ولماذا تخفيه عني. أتظنُّ ان أمرك لا يهمني؟ فأجابها قائلا: اطمئني يا زوجتي العزيزة، اصمتي. حقا اني قد تغيرت. نعم ولسوف يسرك هذا التغيير سرورا عظيما لو تاحين اليه.

وهنا يسمع دقّات على الباب، قال أظنُّ أنّ أصدقاءنا قد جاؤوا. فضربت الزوجة الى ساعة يدها وهي تقول: لقد حضروا قبل الميعاد بربع ساعة. ثم أضافت في تعجب، ودقات الباب مستمرة، وما هم في هذه المرة لم يستعملوا جرس الباب؟! ونهض الاستاذ من مقعده ضاحكا وهو يقول: لعلهم تغيّروا أيضا، فسبحان مغير الأحوال.

وفتح الأستاذ الباب، وأخذ يستقبل ضيوفه بترحاب عظيم، ويدعوهم الى الجلوس حول المائدة. فما أسرع ما جلسوا وأخذوا يأكلون في نهم وبشهية بالغة، كأنهم كانوا في حلبة سباق.. والاستاذ ينظر اليهم نظرة الرضا والارتيـاح والحمـد لربّ العـالمين. والغروب عباد وهو لم يرفع عينيه عنهم. وقد زال عنه الاكتئاب والحزن تماما وهو يشجعهم على الاستزادة ويرى انهم في غير حاجة الى تشجيع، وهو يتلو قوله تعالىٰ مبتهجا الى غير حدّ: ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** ﴾. وصمت الزوجة فاغرة فاها طول الوقت. ثم قالت في دهشة واستغراب: من هؤلاء؟ انهم ليسوا بأصدقائك. فرد عليها مبتسما أو شبه مبتسم وهو يغالب سقوط الدمع من عينيه متأثرا بموقفه الانساني النبيل:

هؤلاء هم أصدقائي الجدد ! ..

أخذت الزوجة تنظر الى المدعوين وهم من طائفة الشحاذين وهي تقول : لو كنت أعلم لأعددت طعاما مناسبا لهم وأرحت نفسي من إعداد مثل هذا الطعام . وردّ عليها زوجها : استغفر الله ، لكأنك تستكثرين هذا الطعام الطيب على هؤلاء المساكين ؟ أجابت : ما قصدت شيئا من ذلك ولكني اسألك — بعد الاستئذان — ما الذي دعاك الى هذا التغيير المفاجيء ؟ قال لها : الولد الولد واسمه محمد احمد التحق بالمدرسة حديثا . وعلمت انه امتنع عن تناول الطعام مع زملائه التلاميذ . قالت : لا بد ان الطعام لم يعجبه . قال : أبداً . فأنا كما تعلمين أعطف على تلاميذي وأجعل من نفسي أبا لهم واحرص على تغذيتهم بالطيب من الطعام . ولكن التلميذ محمد احمد عندما سألته في ذلك أجاب بنبرات حزينة وهو يجهش بالبكاء : انا .. انا .. كيف آكل طعاما حُرم من مثله أبواي واخوتي الصغار ..

ومضت فترة صمت حزين ثم قال الاستاذ : لقد وافاني امس ابوه بالمدرسة بناء على طلبي فأخبرته بأن المدرسة .. وهنا صرخت الزوجة الحنون وهي تقاطعه : أرجوك أرجوك لا تقل ان المدرسة فصلته ! أجاب الاستاذ : أستغفر الله . ما كان لي ان أقول ذلك إلا ان أخرج من عقلي وقلبي ومروءتي . أخبرتُ أباه ان المدرسة قد أعفت ابنه محمد من المصروفات المدرسية . بل جعلت له منحة مالية اسبوعية مساعدة له . قالت الزوجة متأثرة : انك حقا يا زوجي العزيز لمن المحسنين . ولكن ماذا فعلت مع أصدقائك القدامى . قال : اني الغيت مائدة أصدقائي القدامى . فهم في غير حاجة لمثلها . وقد أخبرتهم بأني قد جعلت المائدة لمن هم في حاجة للطعام . قالت : انك بذلك اغضبت اصدقاءك وهم من خيرة الناس . قال : ولكني أرضيت ضميري ، فهم لم يغضبوا بل تأثروا وقرروا بدورهم ان يحذوا حذوي فيعملوا مثلما فعلت . فما رأيك انت ؟ اني اخشى ان تعترضي ارادة الخير . اني مقدر لك مجهودك في خدمة أصدقائي المساكين والمشقة التي تعانين منها . وأرى ان تعدل مواعيد المأدبة بحيث نجعلها مرة في كل شهرين بدلا من ان تكون في كل شهر وذلك تخفيفا للمشقة . فهل انت راضية ؟ قالت : كلا ، اني أوافق علي كل شيء تفعله ولكن لي مطلباً واحداً وهو أن نقيم مائدة الغداء لهؤلاء المساكين مرة كل اسبوع .

أتراك يا حضرة الناظر نسيت موعدك أمس لدفع ثمن القصر لصاحبه ؟ فأجاب حضرة الناظر قائلا : تذكرت الآن يا سيد كوهين ولكني كنت في هم أنساني كل شيء فمعذرة .

— معذرة ! يجوز ان تنسى كل شيء يا حضرة الناظر إلا موضوع هذا القصر فهو موضوع يهمك اولا ولمصلحتك ثانيا .

— استغنيت !

— كيف ذلك ؟ لا يمكن ، وقد وقعت بامضائك على وثيقة البيع .

— أجل ، أنا لا أنكر ذلك . وقد وقعت بامضائي ايضا على وثيقة ارادة الخير .

— وثيقة إرادة الخير ! هذا كلام لا أفهمه .

— صحيح انك لا تفهم هذا الكلام ولكن ما الداعي لمناقشتي وأنت وسيط لا أكثر من ذلك ، فماذا يهمك من هذا الأمر ؟

— يهمني عمولتي . أجل عمولتي . وأود أن أذكرك بأن صاحب القصر هذا رجل صعب لا يلين .

— شكرا ، أما عن صاحب القصر فهو لا يهمني ان كان صعبا أو كان ليناً . واما عن عمولتك فانك تستحقها ..

— (مقاطعا) بارك الله فيك .

— لا تقاطعني . أقول فانك تستحقها فقط عند نفاذ البيع . فان انت أعدت النظر في وثيقة البيع لوجدت فيها ان البيع يتم بعد دفع الثمن . وان الثمن لم يدفع ولن يدفع .

— في هذه الحالة سيقاضيك صاحب القصر وكذلك .. أنا .

قال الاستاذ لزوجته هذا كوهين يهددني برفع الأمر الى القضاء لأني استغنيت عن شراء القصر . قالت : ولماذا استغنيت ؟ انه قصر جميل لا بد ان نشتريه . قال لها : يمكن ذلك ولكن سنفقد رصيدنا في البنك . قالت : بل يمكن ان نشتريه ولا نفقد شيئا من رصيدنا — أقصد رصيدك — في البنك . فأجابها : هذا مستحيل . قالت : انا اعرف انك تريد الاحتفاظ برصيدك في البنك حتى لا تتأثر ارادة الخير . أليس كذلك ؟ قال : نعم هو كذلك . قالت : يا زوجي العزيز لن يحدث ذلك ابدا . لن يتأثر الرصيد ولا إرادة الخير .

وبعد تأمُّل قصير ابتسم الناظر الاستاذ عبدالرازق وقال : فهمت فهمت .. تلك حسنة منك يضاعفها الله لك . لقد تذكرت قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا** ﴾ صدق الله العظيم □

سنديانة خل

شهقت كمثل الريح تعول في زوايا الكهف
مثل النخلة العطشى تسرّح ساعديها
تشخص البصر الكئيب
ظمئت شظايا روحها خلف السراب
ســـراب قيعـان الوعـــود
في كوخها انتفضت كقبرة تنقّر في زوايا الصمت
تغمس جنحها المكسور في نهر السكون
هل من سكون غير زمجرة الفضاء
وغير هذا العوس يجأر في الدروب
وتطل من بين الشقوق ومن خصاص الكوخ
تلهث . تستجير
لـمْ يأت « معتصمٌ » يُريق الكأس
لا نبـــأ يصـــدّقُ
لا يُجيب السيف في نيل نداءْ
هذي القبور تئزّ لا أبواب تسترها
كأنّ الرمل من سخط يفـــورْ
وكأنّ أكفان الغبار يُميطها صوت المدافع في الصدورْ
هذي هي ابنة جارنا « علوان » تنهشها القبورْ
الليل والصيف لعقيم يضجّ في العيدان
يخـــترم عـــــروق
قومـــــــوا
الى أيـــــن ؟؟!

ـف الخندق

شعر : أحمد محمد العتوق / الولايات المتحدة

الرحيـلُ ، الا فهبـوا للرحيـلْ
أفـنرقب الطوفـان ، لا جبـلْ
ولا مَن يعصم الطود المرابط عند أبوابِ السعيرْ
الليل ، والريح العصوف تغلّقُ الأبوابَ
تحصد في خيام اللاجئين
تشتفُّ من دمهم بحاراً أو تغوص الى الجنينْ
ها هم أتـوا يعـدونَ
صيحتهم تعربد مثل نهر الموتِ
يقتاتون لحم سُميةٍ ، ايمان ، محمود الصغيرْ
وأشار ، مرتجف الأصابع غائر العينينِ
مِن هذا الطريـقْ !!
ها قد أتى من خلف أسلاك الحديد
يهدهِدُ الجرحَى ، يُلوّحُ للجياعْ
ويوزع الصدقات من بُرّ وزيتونٍ وأكفانٍ
ودفء من تراب الشمس في حصن امينْ
يحنو ويُقسم ان ننام على فراش الماء عرياً آمنينْ
أفأنتـمُ عُريٌ وأنتم جائعون على الحدود مدى السنينْ!!
فتنهدتْ.
دعنا نهيم على الحدود مع اليقينْ
نبتتْ على هذي القناطر خطونا وخطى الجدود
نبتت بذرات التراب لنا زنود
الليل عند السور ينتظر القوافلَ

والريـاح ؟؟
تعدو الى الأبواب تقلع في عويل كلَّ باب
هي كالخيول تُغيرُ نحو الملجأ العشرين
كالبركان في جـوف الزمـان
« نيرون » يعزف لحنه والنار تلتهم « المدينة »
والدخـانْ !
يشتف أضواء المآذن والجسور
لا ، إنَّ اضواء المآذن والجسور تلوح فوق السنديان
ولتعبر الأسوار ، تخترق الزمانْ
أفإنَّ حلماً ما أرى في الأفق لَوَّحَ مِن بعيد
أم يا ترى هو موكب للصافنات تجرُّ حمل البائسينْ !
وستقرع الجرحى غداً جوف الطبولْ
ولِقادم قد خاض عرض البحر ليلا هاتفٌ يقظٌ يقولْ :
الرقصُ فوق الجمرِ وعدٌ لن يطـولْ
إنّـا سنغسل في غدٍ أقدامنا بالضوءِ
أمْ هـمْ يَحلمون بأن نقـول !!
إنّـا اذا ارتجفتْ مصابيحُ الطريق
أو إننا جعنا وراء البحر أو ظل الحريقْ
يغلي ، وكالمُهل اعتصرنا دمعنا ، لهبا شربناهُ
بأنّـا لا نطيـقْ
الأرضُ نحن ـــ وهكذا قالوا ـــ ونحن الأرضُ
والأرضُ الطريـقْ

انظمة
النقل
الفضائي

استقبل مركز كنيدي للفضاء بفلوريدا في شهر نوفمبر من العام الماضي خمسة من رواد الفضاء الامريكيين كانوا قد عادوا لتوهم من رحلة مثيرة على متن مكوك الفضاء « ديسكفري » وُصفت يومها بأنها أهم حدث في تاريخ الفضاء منذ ان هبط « ارمسترونغ » و « ألدرين » على سطح القمر سنة ١٩٦٩ م .

ولم تنبع إثارة هذه الرحلة من تحقيق هدفها الأول وهو وضع قمرين صناعيين لحساب كندا ووزارة الدفاع الامريكية في مداريهما حول الارض، بل كان مصدر إثارتها هو نجاح الرواد في استرجاع قمرين آخرين للمواصلات احدهما تابع لحكومة اندونيسيا والثاني تابع لشركة « وسترن يونيون » بعد ان كان مكوك الفضاء الامريكي « تشالنجر » قد وضعهما في غير مداريهما في شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٨٤ بسبب خلل طرأ على محركات الوحدة المخصصة لاطلاقهما .

وقد تزامنت رحلة المكوك « ديسكفري » مع رحلة مشابهة غير مأهولة تابعة لوكالة الفضاء الاوروبية تمت في العاشر من نوفمبر من مركز الفضاء في كورو في الادغال الاستوائية من غويانا الفرنسية في امريكا الجنوبية ، حمل فيها الصاروخ « ايريان » قمري مواصلات لحسابي شركتين عالميتين ووضعهما في مداريهما على ارتفاع ٣٢٦٨ كيلومترا من سطح الارض . وعلى الرغم من ان رحلة « ايريان » الأخيرة هذه لم تحظ بمستوى التغطية الاعلامية نفسه الذي حظيت به رحلة المكوك « ديسكفري » فانها تعتبر ناجحة من جميع الوجوه ، كما انها اظهرت وكالة الفضاء الأوروبية كمنافس قوي لوكالة « ناسا » على صعيد سوق الاقمار الصناعية .

وقبل ذلك بشهر تقريباً ، استقبل الشعب الروسي ثلاثة من رواد الفضاء عادوا من رحلة قضوا فيها ٢٣٧ يوما في محطتهم الفضائية ساليوت ــ ٧ . وكان أولئك الرواد قد صعدوا الى ساليوت ــ ٧ في شهر شباط (فبراير) ١٩٨٤ على متن الصاروخ سيوز ت ــ ١٠ الذي انطلق من مركز فضاء « تايراتوم » في كازاخستان .

التكاليف الباهظة لعملية استكشاف الفضاء

إن عملية إيفاد رجال الفضاء والمعدات لاستكشاف الفضاء ، عملية معقدة باهظة التكاليف حتى بالنسبة للدول الغنية مثل الولايات المتحدة الامريكية التي كلفها برنامج « ابوللو » لانزال انسان على سطح القمر حوالي ٧٣ بليون دولار . كما تقدر تكاليف بناء محطة فضاء امريكية تدور حول الأرض بحوالي ثمانية بلايين دولار ، وتكاليف انشاء مستعمرة امريكية على سطح القمر بحوالي ٨٤ بليون دولار . أما عن تكاليف انشاء نظام حرب النجوم الذي تتحدث عنه وسائل الإعلام الأمريكية هذه الايام فحدِّث ولا حرج .

ولقد سلكت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سبلا متعددة للحد من هذه النفقات كان أولها التعاون الدولي ، وذلك حينما تعاون علماء الدولتين في التحضير لالتحام عربة « ابوللو » الأمريكية مع عربة « سيوز » الروسية سنة ١٩٧٥ وأيضا عندما قامت وكالة الفضاء الاوروبية ببناء مختبر الفضاء الذي نقله المكوك الامريكي « كولمبيا » الى مداره سنة ١٩٨٣ ، وكذلك عندما اشتركت ثماني دول أوروبية في توفير المعدات اللازمة لرحلة سابر الفضاء الروسي « فيجا » الذي اطلق في شهر ديسمبر الماضي لاستكشاف كوكب الزهرة ثم الالتقاء بمذنب هالي سنة ١٩٨٦ م .

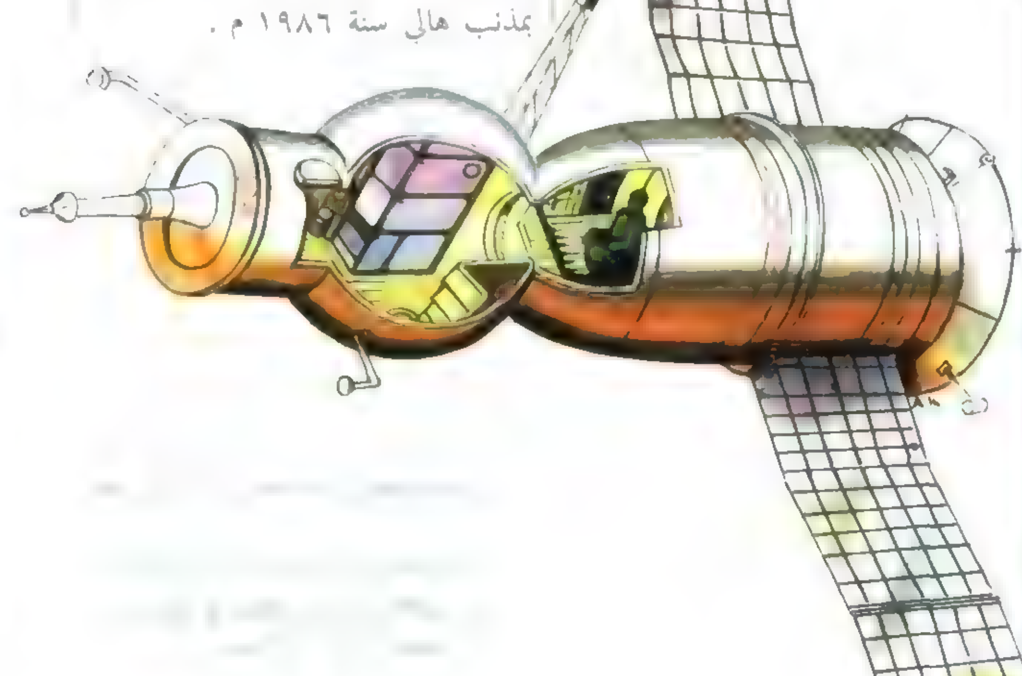

ومما يجعل عملية استكشاف الفضاء باهظة التكاليف هو ان عربات اطلاق الصواريخ وما تحمله من معدات ، لا تستعمل الا مرة واحدة . ففي حال استعمال صاروخ ذي ثلاث مراحل كصاروخ « ساتورن ــ ٥ » أو صاروخ « تيتان ــ ٣ سي » تنفصل المرحلتان الأولى والثانية على التوالي بعد ان تستنفدا اغراضهما وتسقطان بما فيهما من هياكل ومحركات دفع وخزانات وقود الى قاع المحيط . أما المرحلة الثالثة فتنفصل عن القمر الصناعي قبيل وضعه في مداره وتبقى في الفضاء الى ان تحترق عند احتكاكها بالغلاف الجوي للأرض . ولو استطاع المهندسون استعادة هذه المراحل أو بعضها لأمكنهم اعادة استعمالها موفرين بذلك الكثير من الجهد والمال .

ومن المعروف أن أهم مشكلة في عملية اطلاق الأقمار الصناعية أو المركبات الفضائية ، هي مشكلة التغلب على الجاذبية الأرضية ، اذ كلما ازداد وزن الصاروخ احتاج الى قوة دفع اكبر لنقله الى مداره أو الخروج به من نطاق الجاذبية الأرضية . وتتولد قوة الدفع هذه عن احتراق الوقود . فصاروخ « ساتورن ــ ٥ » الذي نقل رواد الفضاء الى القمر سنة ١٩٦٩ م كان يستهلك ١.٤ طن من مزيج الكيروسين والأوكسجين في الثانية الواحدة عند بدء اطلاقه . وبما ان قوة الجاذبية الأرضية المؤثرة على جسم ما تقل كلما ارتفع الجسم عن سطح الأرض فان تكاليف عملية الاطلاق تنخفض بشكل ملحوظ لو امكن نقل الاقمار بعربات اطلاقها الى مدارات اولية او الى محطات فضائية دائمة لاطلاقها .

ويقدر عدد الأقمار الصناعية التي أطلقت إلى يومنا هذا بنحو ٣٥٠٠ قمر تقوم بمهمات مختلفة تشمل مراقبة الأحوال الجوية ورصد السفن والطائرات أو نقل معلومات من بلد إلى آخر أو جمع المعلومات العلمية والعسكرية . ومع أن معظم هذه الأقمار لا يزال عاملا في مداره إلا أن كثيرا منها قد هوى واحترق بعد احتكاكه بالغلاف الجوي للأرض . كما أن العشرات منها قد توقفت عن إرسال معلومات بسبب عطل في أجهزتها أو خلل في بطارياتها . ولم يستطع مهندسو الفضاء إصلاح أي من هذه الأقمار المعطلة وإعادتها للعمل لأنه لم يكن بالإمكان الوصول إليها .

مكوك الفضاء الأمريكي

بدأ الأمريكيون في مطلع السبعينات العمل على صنع عربة إطلاق مأهولة تصل الأرض بالفضاء في رحلات روتينية متعددة تحمل معها الأقمار الصناعية والمعدات العلمية ومختبرات الفضاء إلى مدارات قريبة من سطح الأرض وتطلقها من هناك إلى مداراتها النهائية . أو تصطاد الأقمار الصناعية المعطوبة أو الضالة فتصلحها حيث هي أو تعيدها إلى الأرض لإصلاحها ، ثم تنقلها إلى الفضاء لإطلاقها مرة أخرى ، أو تنقل الرواد والمعدات والمؤن من وإلى محطة فضاء يمكن بناؤها في المستقبل .

وقد خرج المهندسون الأمريكيون بعربة إطلاق مزودة تنطلق كالصاروخ وتهبط كطائرة شراعية أطلق عليها اسم « المكوك الفضائي » ، وخططوا لاستخدامها في أكثر من خمسمائة رحلة قبل حلول عام ١٩٩٢ م وهو عام ذكرى خمسمائة لاكتشاف أمريكا .

وقد صنع ثلاثة أنواع من هذه العربات هي « كولمبيا » و « تشالنجر » و « ديسكفري » . وكانت أول رحلة لمكوك الفضاء في إبريل سنة ١٩٨١ حين دار مكوك « كولمبيا » ستا وثلاثين دورة حول الأرض وعلى متنه الرائدان « جون يونغ » و « روبرت كريبن » . وفي نوفمبر ١٩٨٣ ، حمل مكوك « كولمبيا » مختبر الفضاء ١ إلى مداره ، وفيه ، بالإضافة إلى ملاحيه ، عالمان مدنيان ، أحدهما أمريكي والآخر ألماني .

أما رحلة المكوك العشرة التي تمت في شهر نوفمبر ١٩٨٤ فكانت رحلته الرابعة عشرة ، كما كانت رحلته العسكرية التي تمت في شهر مايو ١٩٨٥ وهي الرحلة الخامسة عشرة .

أجزاء المكوك

يتكون مكوك الفضاء الأمريكي من طائرة شحن كبيرة تسمى السفينة المدارية أو « الأوربتر » طولها ٣٧,٢ متر وارتفاعها ١٧ مترا والبعد بين طرفي جناحيها ١٨,٨ متر . ولها بالإضافة إلى مقصورة الرواد كابينة للحمولة طولها ١٨,٣ متر وعرضها ٤,٦ متر ، ويوجد في مؤخرتها ثلاث ماكينات رئيسية وست وعشرون ماكينة صغيرة يبلغ مجموع قوة دفعها حوالي ١٤٥٥٠٠٠ رطل تستخدمها في مناوراتها وهي في مدارها أو في مراحل طيرانها المختلفة وهي عائدة إلى الأرض . وقد صممت السفينة المدارية « الأوربتر » بحيث يبلغ أقصى وزن لها ٢٩ طنا وبحيث تتسع لسبعة رواد يمكنهم البقاء في الفضاء حوالي ثمانية أيام .

وقبل الاطلاق ، تثبت هذه السفينة المدارية على ظهر صاروخ ضخم ذي وقود سائل يتصل بجانبيه صاروخا الدفع المساعد يستعملان الوقود الصلب . وتبلغ قوة دفع مجموعة الصواريخ هذه حوالي ٦٩٢٥٠٠٠ رطل .

وتبدأ عملية اطلاق المكوك باشعال صاروخي الدفع المساعد اللذين يتوليان رفع المكوك من على منصة الاطلاق . وبعد حوالي دقيقتين ينفد وقودهما فينفصلان ويسقطان في المحيط بالمظلات حيث تلتقطهما السفن لاعادة استعمالهما ، وبانفصالهما تنتهي مرحلة الدفع الاولى للمكوك ، وتبدأ المرحلة الثانية التي تعتمد على دفع الصاروخ الضخم ذي الوقود السائل . وينفصل هذا الصاروخ عن السفينة المدارية « الأوربتر » قبيل وضعها في مدارها المخصص لها على بعد أقصاه ٨٠٠ كيلومتر من سطح الارض .

حمولة المكوك

لقد صممت غرفة الشحن في المكوك الفضائي لتنقل أحمالا متشابهة أو مختلفة من الأقمار الصناعية ووحدات التجارب العلمية ، إضافة الى عناصر أخرى من نظام النقل الفضائي مثل « مختبر الفضاء » و « مركبة التعريض للفضاء مددا طويلة » و « المركبة القياسية متعددة الأغراض » وغيرها . وبالنسبة الى الأقمار الصناعية التي يجب اطلاقها الى مدارات أعلى من مدار المكوك فان المكوك ينقلها من الأرض مرتبطة بعربة اطلاق تسمى « مركبة المراحل العليا » وهي تتألف من مرحلة أو مرحلتين للدفع وأجهزة ملاحة واتصال مستقلة عن اجهزة المكوك . وخير مثال عليها محرك الحضيض (بام) الذي صمم ليعمل مع صواريخ اطلس ودلتا . ويمكن مقارنة قدرات المكوك ومحرك الحضيض مجتمعة بقدرات صاروخ دلتا ذي المراحل الثلاث عندما يطلق من سطح الارض . فبينما يقوم المكوك بتوجيه وإدارة وإشعال محرك الحضيض بما يقابل المرحلتين الاوليين لصاروخ الدلتا، يقوم محرك الحضيض نفسه بما يقابل المرحلة الثالثة للصاروخ فيطلق القمر الصناعي في المدار المطلوب .

ومحرك الحضيض « بام » هذا هو الذي تعطل في المكوك تشالنجر في فبراير ١٩٨٤ وذلك عندما وضع قمرين صناعيين للمواصلات في غير مداريهما المقررين .

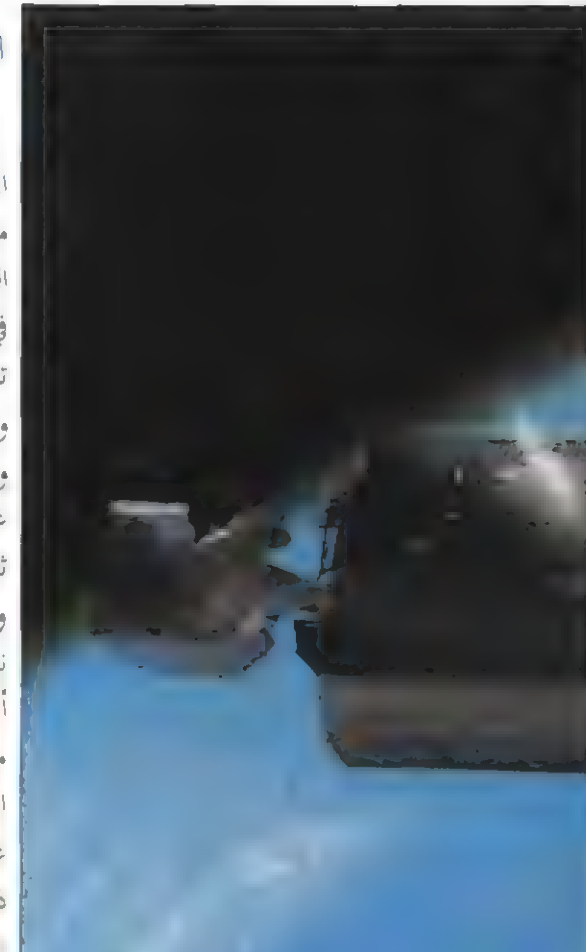

الأجهزة المساندة في عربة المكوك

لقد زودت غرفة الشحن في المكوك بالعديد من الأنظمة التي تعمل معا لتحقيق أهداف الرحلة . فهناك نظام الشدادات الذي يستخدم لتثبيت الحمولة في عربة الشحن . وهو عبارة عن نقاط ترابط موجودة على جوانب قسم الشحن وعلى العارضة الممتدة على بطن المركبة وعلى جسور التثبيت . وهناك نظام يمد غرفة الشحن بالطاقة الكهربائية من ثلاث خلايا للوقود تختزن الهيدروجين والاوكسجين ، كما تشمل غرفة الشحن نظاما للتحكم اليدوي عن بعد يلجأ اليه أخصائيو الحمولة لفصل الحمولة ونقلها من الغرفة الى خارجها او لالتقاط الحمولة من خارج المكوك ووضعها في غرفة الشحن . وهذا النظام مؤلف من ذراع طولها ١٥ مترا يحركه اخصائيو الحمولة بواسطة صندوق تروس يديره احد محركات المركبة . وفي طرف الذراع ماسكات تتناسب مع اقفال التثبيت التي تكون على الحمولة . كما ان هناك نظاما يتحكم في ضغط ودرجة حرارة الأجواء المحيطة بالحمولة ، وآخر يحميها من التلوث . بالاضافة الى أنظمة الملاحة والارشاد وتقديم البيانات والاتصالات اللاسلكية .

طاقم الرحلة

تقع مسؤولية تشغيل وإدارة كافة أنظمة المكوك ودعم نظام الحمولة المرتبطة به على عاتق طاقم المكوك الذي يتراوح عدد افراده بين اثنين وسبعة أفراد حسب متطلبات الرحلة . ويأتي في مقدمتهم قائد الرحلة وهو المسؤول عن تشغيل وإدارة المكوك ، وعن سلامة المركبة والأفراد ، وكذلك عن تنفيذ مخطط الرحلة لتحقيق أهدافها . ويأتي الطيار في المرتبة الثانية بعد القائد حيث يستمد صلاحياته منه ويساعده في إدارة وتشغيل المكوك وتنفيذ مخطط الرحلة .

أما خبير الرحلة فتنحصر مهمته في التنسيق بين عمليات المكوك والحمولة وعليه تقع مسؤولية تشغيل وحدات التجارب ومراقبة الحمولة للتأكد من سلامتها خلال عملية الاطلاق والهبوط . أما أخصائيو الحمولة فهم المسؤولون عن تشغيل وحدات التجارب ومتابعتها لتحقيق أهدافها حسب توجيهات خبير الرحلة .

ويساعد طاقم المكوك فريق أرضي يسمى فريق التحكم في الرحلة ، حيث يناوب أعضاء هذا الفريق على مدار الساعة طوال أيام الرحلة ويقدم للطاقم مساندة فورية خلال مراحل الاطلاق والهبوط .

نظام النقل الأوروبي

يعتمد نظام النقل الأوروبي على صاروخ « اريان » ذي المراحل الثلاث المستهلكة ، والذي يستطيع أن يطلق ما يحمله من أقمار صناعية في مدارات على ارتفاع ٣٥٦٨٠ كيلومترا تتساوى فيها زمن دورة القمر حول الأرض مع زمن دورة الأرض حول محورها وهو ٢٤ ساعة ، فيبدو القمر وكأنه ثابت في مكانه معلق فوق نقطة معينة من سطح الأرض .

لقد كانت رحلة اريان ــ ٧ التي تزامنت مع رحلة المكوك « ديسكفري » في نوفمبر ١٩٨٤ ، ثالث عملية اطلاق تجارية ناجحة لشركة « ايروسبيس » الفرنسية التي تتولى إدارة العمليات التجارية لشركة الفضاء الأوروبية . وقد تمت أول رحلة تجارية ناجحة لها في مايو ١٩٨٤ بعد حوالي سنتين ونصف السنة من الرحلات غير التجارية .

ومع أن مهمة نظام النقل الأوروبي هذه تقتصر على وضع الأقمار الصناعية في مدارات بعيدة عن سطح الأرض باستعمال الصواريخ ذات المراحل المستهلكة إلا أنه يعتبر منافسا كبيرا لنظام النقل الأمريكي في نطاق هذه المهمة . فقد حصلت شركة « ايروسبيس » في العام نفسه عقودا مع شركات أمريكية واثنين مع البرازيل وواحد مع البلاد العربية وآخر مع استراليا كما أبرمت عقودا أخرى تقدر قيمتها الإجمالية حوالي ٧٥٠ مليون دولار لاطلاق ٣٠ صاروخا تحمل أقمارا صناعية مختلفة الى

مداراتها المحددة .

وبالاضافة الى نجاحها المتواصل، فان شركة « ايروسبيس » تنافس «ناسا » في مجالات اخرى ألا وهي تكلفة النقل . فيما تتقاضى « ايروسبيس » ما بين ٢٥ و ٣٠ مليون دولار عن كل رحلة او كل حمولة وتسمح للعملاء بتوزيع التكاليف فيما بينهم كالدول العربية التي اشتركت في اطلاق القمر الصناعي العربي «عربسات» بواسطة الصاروخ الفرنسي «ايريان»، نجد ان « ناسا » تتقاضى ١٠ ملايين دولار من كل عميل ولا تسمح لهم بالمشاركة في حمولة واحدة ، وهي تطالب بما مجموعه ٧٠ مليون دولار عن الحمولة بكاملها . ومن ناحية اخرى ، يستطيع صاروخ « ايريان » ان يرفع ما وزنه ٢,٥ طن بينما لا يستطيع المكوك الامريكي ان يرفع اكثر من ١,٤ طن في الوقت الحاضر .

لكن المكوك الامريكي يمتاز عن صاروخ « ايريان » بامكاناته المتعددة حيث يستطيع نقل الأقمار الصناعية والمعدات العلمية من والى الفضاء ، كما انه يمكّن العلماء غير المدربين على الطيران من الصعود الى الفضاء لاجراء تجاربهم . ويعكف الامريكيون حالياً على تطوير أداء المكوك بحيث تزداد حمولته تدريجيا الى ان تصل الى حد أقصاه ٢٩ طنا . ويصبح باستطاعته إطلاق أقمار صناعية في مختلف المدارات أو خارج نطاق الجاذبية الأرضية ، كما انهم يحاولون إطالة مدة بقائه في الفضاء الى عشرين يوما . وقد بلغت قيمة عقود « ناسا » حوالي ١٩٠٠ مليون دولار للسنوات الأربع القادمة .

نظام النقل السوفيتي

منذ بداية عصر الفضاء والعلماء في الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي يعملــون جاهدين لتفياء برحلات الى الفضاء . وقد استخدموا ما جمعوه من معلومات لأغراض مختلفة . فبينما كان هدف الامريكيين انزال انسان على سطح القمر قبل بداية عام ١٩٧٠ ، توجه اهتمام السوفيت الى بناء محطات فضائية تدور حول الارض .

وتختلف محطة الفضاء عن القمر الصناعي في انها تصمم لكي يعمل فيها عدة اشخاص لمدة طويلة ، وقد تستعمل

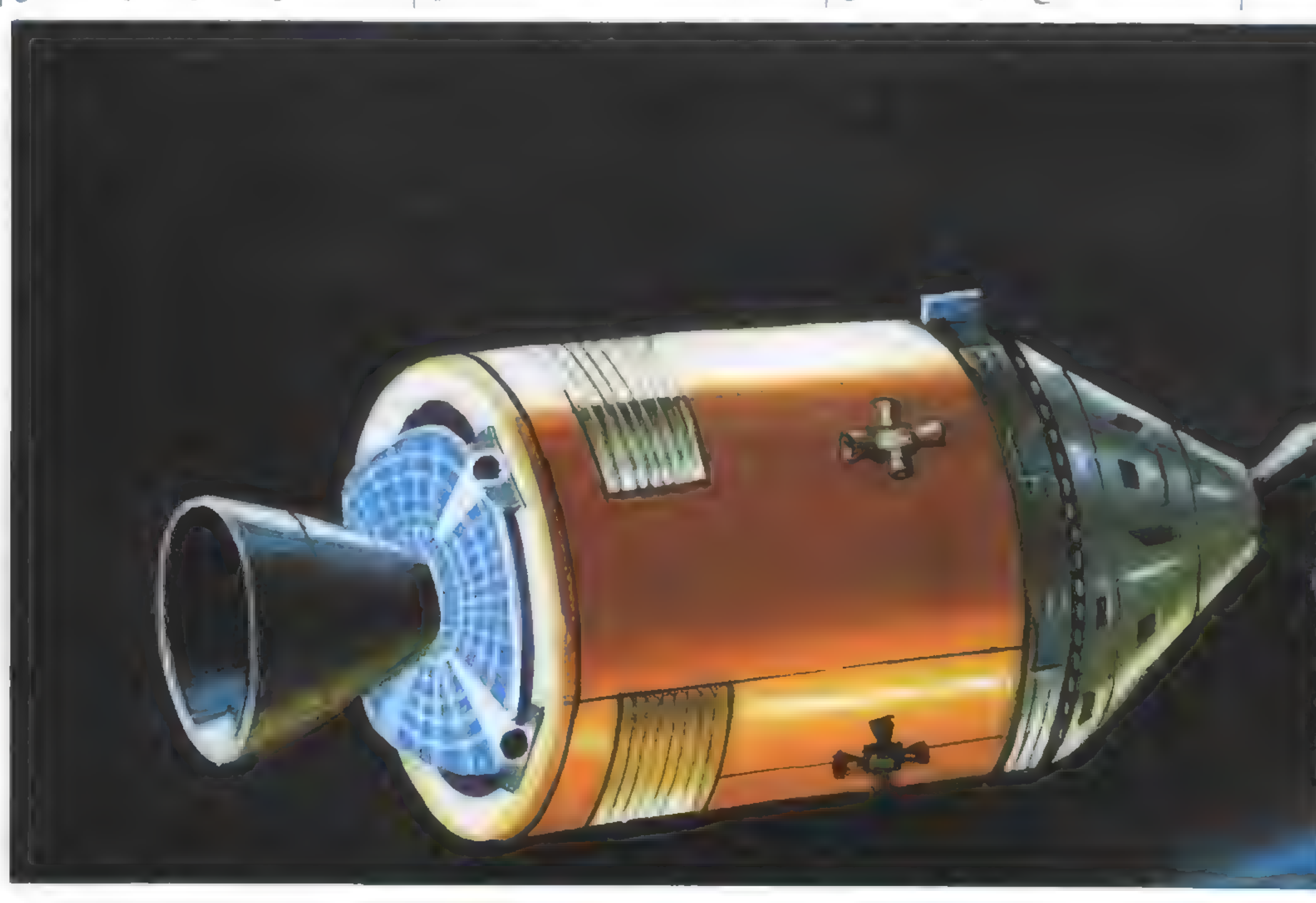

كمختبر فضائي يجري فيه العلماء تجاربهم في حال انعدام الوزن ، وفي رصد النجوم والكواكب من فوق غلاف الأرض الجوي . وقد تستعمل المحطة كقاعدة لتجميع محطات او مركبات فضائية أو كمحطة للسفر الى القمر والكواكب الأخرى في النظام الشمسي .

وفي سنة ١٩٧١ بدأ السوفيت في اطلاق محطات فضائية ضخمة تدور حول الأرض كان اولها ساليوت ــ ١ ثم تلتها محطات اخرى منها محطة ساليوت ــ ٦ التي تزن عشرين طنا والتي تعاقب عليها الرواد لمدة خمس سنوات ناقلين اليها حوالي احد عشر طنا من المؤن والمعدات . وكان آخرها ساليوت ــ ٧ التي عاد ملاحوها الثلاثة في اوائل شهر اكتوبر ١٩٨٤ بعد ان قضوا فيها ٢٣٧ يوما مسجلين بذلك رقما قياسيا للبقاء في الفضاء .

ويستعمل السوفيت مكوك الفضاء « سيوز » لنقل الرواد والمؤن والمعدات من والى محطات ساليوت . وقد التحمت « ساليوت ــ ٧ » مرتين مع ناقلات « سيوز » . كانت الأولى في ابريل ١٩٨٤ ، وكان من بين روادها رائد الفضاء الهندي « راكيش شرما » الذي مارس اليوغا الهندية في الفضاء ، وكانت الثانية في يوليو ١٩٨٤ حينما زارتها رائدة الفضاء « سفيتلانا » التي كانت أول امرأة تسير في الفضاء . ويختلف المكوك الروسي عن نظيره الامريكي في انه لا يستعمل الا لرحلة واحدة . ويجمع الخبراء على ان رحلات « ساليوت » هي بمثابة حجر الزاوية لبرنامج سوفيتي يتطلع الى بناء محطة فضائية ضخمة تزن مائة طن وتتسع لاثني عشر شخصا في مدار قريب من سطح الأرض والى اقامة مستعمرات سوفيتية على القمر وكوكب المريخ . ويجمع الخبراء ايضا على ان السوفيت قد اصبحوا قاب قوسين من تحقيق هدفين طالما تاقوا لتحقيقهما ، وهما بناء مكوك يقوم برحلات متعددة على غرار المكوك الامريكي ، وبناء صاروخ ضخم يحمل اجزاء مركبتهم الفضائية المنتظرة الى مدارها حول الارض . فقد التقطت أقمار الإستكشاف الأمريكية صورا لصاروخين ضخمين على منصتي الاطلاق في مركز فضاء « تايرانوم » في كازاخستان كما التقطت صورا لمدرج هبوط شبيه بمدرج هبوط المكوك الامريكي □

الفكر الاجتماعي عند الفارابي

بقلم : د. لطفي بركات أحمد/أبها

اهتم [illegible]
[illegible]
وركائزها وصيغها ومحدداتها وأهدافها، وحاولوا تحليل طبيعة المجتمعات ونشأتها [illegible] منذ مرحلة الوحدات العشائرية الأولى الى مرحلة بناء الدولة المنظمة مستمدين مادة دراستهم من الشريعة الاسلامية السمحاء من ناحية، ومن الواقع الاجتماعي الذي عاصروه من ناحية أخرى، كما اهتم العديد منهم بدراسة الفرد ونشأته وتطوره ومدى استجابته لأساليب التنشئة الاجتماعية وعالجوا القيم [illegible]
[illegible] موضوعات حضارية متعددة الأوجه ووصل بعضهم الى معطيات رائدة في الفكر الاجتماعي أمثال أبي نصر الفارابي الذي يعد من أشهر المفكرين المسلمين والذي قال عنه Oleary «انه الأب الحقيقي لكل مفكري الاسلام»[1].

[illegible]
الفاضلة وذلك على النحو التالي :

أولا : طبيعة المجتمعات :

أكد الفارابي ان نشأة المجتمعات مردها [illegible] (٢)

«كل واحد من الناس مفطور [illegible] في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كمالاته الى اشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده، بل يحتاج الى قوم يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج اليه وكل واحد من كل واحد بهذه الحال».

ومغزى ذلك أن الفارابي يؤكد أن الانسان مدني بالطبع وأنه بفطرته محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية الى أشياء كثيرة لا يستطيع وحده القيام بها ولعله يشير الى الناحية المادية بقوله «في قوامه» ويشير الى الناحية المعنوية بقوله «أفضل كمالاته» وهي السعادة التي ترتكز على التعاون المادي والمعنوي على السواء.

والمجتمعات الفاضلة في نظر الفارابي هي التي يؤدي الانسان فيها عمله أداء كاملا بفضل ما يسود أفرادها من علاقات انسانية طيبة ترتكز على الترابط والتآزر والتكامل.

ثانيا : أشكال التجمع الانساني :

حدد الفارابي أشكال التجمع الانساني بقوله : (٣).

«منها الكاملة ومنها غير الكاملة، والكاملة ثلاثة، عظمى ووسطى وصغرى، والعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة والصغرى اجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة. وغير الكاملة أهل القرية واجتماع أهل المحلة ثم اجتماع في سكة ثم اجتماع في منزل».

ومن النص السابق يتضح لنا أن الفارابي يقسم المجتمعات الكاملة الى ثلاثة مجتمعات عظمى وهي أكثر كمالا حيث ينتظم كلها في مجتمع واحد تحت سلطة حكومية واحدة ورئيس واحد، ويلاحظ أن هذا الاتجاه الذي [illegible]

أما [illegible]
[illegible]
[illegible] واجتماع أهل المحلة وهو جزء من المدينة وحي من أحيائها واجتماع سكة وهي جزء من المحلة [illegible]

[illegible] على المجتمعات الكاملة وان كان قد أهمل النوعين الاولين من هذه المجتمعات وهما اجتماع العالم كله واجتماع الأمة ولم يدرس من بينها الا اجتماع المدينة حيث قسمها الى عدة أنواع هي :

أ ــ المدينة الفاضلة :

يحلل الفارابي البيئة الاجتماعية للمدينة الفاضلة بقوله : (٤)

«المدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى وفيها عضو واحد رئيسي هو القلب وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيسي، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيسي، وأعضاء أخرى فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة فهذه في الرتبة الثانية، وأعضاء أخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه المرتبة الثانية ثم هكذا الى أن ينتهي الى أعضاء تخدم ولا ترأس أصلا. كذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات وفيها انسان هو رئيس وأخر تقرب مراتبها من الرئيس وفي كل واحد منها هيئته وملكه يفعل بها فعلا يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس وهؤلاء أولو المراتب الأول ...»

وعلى ضوء هذا النص يتضح لنا أن الفارابي يشبه المدينة الفاضلة بالكائن الحي الذي يتعاون أعضاؤه جميعا في

سبيل المحافظة على حياته، وكما أن أعضاء الجسم مختلفة ومتفاضلة بالفطرة ويعتبر القلب أهمها وقمتها، فكذلك بالنسبة للمدينة يعتبر الرئيس مصدر حياة المدينة ودعامة نسقها ونظمها. وعلى ضوء هذا يصور الفارابي البناء الاجتماعي للمدينة وقد احتل قمته الرئيس وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس الى أن تصير مراتب الخدمة التي ليست فيها رئاسة. (٥)

ولقد حدد الفارابي الخصائص والسمات التي يجب توافرها في رئيس المدينة على النحو التالي:

* أن يكون حكيما لينشد حكمته فيمن يعني له من الأمور.
* أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظه عن السلف.
* أن يكون له قدرة على الابداع والابتكار.
* أن يكون له القدرة على تعليم الناس جودة الفهم وجودة الفطنة وبلاغة التعبير وحب العلم.

ب ـ المدينة غير الفاضلة :

وتنقسم هذه المدينة الى خمسة أقسام هي:

مدينة جاهلة :

يقول عنها الفارابي أن أهلها لا يعرفون من الخيرات سوى الحسية والبهيمية منها حيث ظنوا واهمين أن الخير انما هو في اللذات البدنية.

مدينة فاسقة :

ويصورها الفارابي بقوله : (٦)

« أما المدينة الفاسقة فهي التي تعلم السعادة، والله عز وجل، والعقل الفعال ولكن تكون أفعالها أفعال المدن الجاهلة».

ومغزى ذلك أن أهل المدينة الفاسقة يقولون ويعلمون ويعتقدون ما هو حق ولكنهم لا يعملون به مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾.

مدينة مبتذلة :

وهي مدينة كانت فاضلة ثم أصابتها تيارات شاذة وانحرافات فاستحال أهلها الى غير أفاضل.

مدينة ضالة :

وهي مدينة يسودها الضلال والخداع والغرور، فأهلها لا يعتقدون في الله ولا يؤمنون بالبعث والخلود والجنة والنار والثواب والعقاب.

مدينة النوابت :

وهي مدينة الجريمة التي تحوي البغاة والقتلة وقطاع الطرق واللصوص وكل من يعيش على امتصاص دماء أفراد الجماعة والحاق الأذى بهم وفي ذلك يقول الفارابي : (٧)

«فان النوابت في المدن منزلتهم فيها منزلة الشيلم في الحنطة أو الشوك النابت بين الزرع أو سائر الحشائش غير النافعة أو الضارة بالزرع».

تعقيب

بعد أن استعرضنا الفكر الاجتماعي عند الفارابي، سنحاول أن ننظر اليه نظرة تقييمية. فمن المؤكد أن آراء الفارابي يغلب عليها الطابع اليوتوبي الذي اتسم بآراء شخصية قائمة على تصورات وأفكار مثالية لما ينبغي أن تكون عليه حياة المجتمعات دون الرجوع الى خلفية من الدراسات الوصفية والتحليلية المقارنة فجاءت آراؤه في هذا الصدد مزيجا من خطرات فلسفية ورغبات ذاتية غير منهجية بعيدة عن الدقة العلمية المنشورة في عرض الحقائق ومعالجة شئون المجتمعات.

ولعل ما دفع الفارابي الى الأخذ بالطابع اليوتوبي هو معاصرته لأكثر عصور الدولة الاسلامية اضطرابا وفتنة وشقاقا حيث كان مولده أثناء حكم المعتمد ووفاته أثناء حكم المطيع وهذه الفترة كانت أقل الفترات استقرارا اذ سادت الفتن تحت عدة عوامل منها ما هو ديني ومنها ما هو شعوبي ومنها ما هو ثقافي، وكل هذه العوامل ربما كانت من العوامل التي دفعت الفارابي الى ضرورة التسامي عن هذا الواقع المضطرب والتحليق في أجواء النزعات اليوتوبية المثالية (٧).

وقد يكون مرد هذه النزعات اليوتوبية الى تأثر الفارابي بجمهورية أفلاطون والسمات التي حددها للحاكم، وتأثره أيضا بدعوى أرسطو بالعقل الفعال فيما وضح في مؤلفه «الجمع بين رأي الحكيمين».

أما فيما يتعلق بتقسيم الفارابي للمدن الى فاضلة وغير فاضلة، فيتضح لنا تأثير العوامل الدينية في هذا التقسيم، ذلك أن المدينة الفاضلة لا يمكن تصورها الا في السياق الزمني لظهور الاسلام وعلى هذا تكون أضدادها في خلال نفس العصر الاسلامي أي مدن قد وصلتها الدعوة الاسلامية ولكنها تصر على حياة الفسق والضلال. (٨)

واذا كان الفارابي أبرز مفكري الاتجاه اليوتوبي، فهناك أيضا ابن باجه الذي حذا حذو الفارابي فجاءت آراؤه الاجتماعية ذات طابع يوتوبي، وظهر هذا في تقسيمه المدن إذ قسمها بنفس الصورة التي اتبعها الفارابي فذهب الى أن المدن الفاضلة هي التي تسودها المحبة والفضيلة والصدق والنظافة، وذلك على عكس المدن غير الفاضلة التي يغلب عليها حب الشهوات والملذات.

ورغم هذا كله، فانه يمكن القول بأن الغرض الرئيسي للفكر الاجتماعي عند الفارابي هو وضع لبنات مدينة فاضلة ترتكز بصفة جوهرية على الفضيلة، وتحقق لمواطنيها العدالة والسعادة عن طريق التربية الخلقية والتنشئة الاجتماعية السليمة وفق آرائه الخاصة عن طبيعة الحياة الاجتماعية والقائمين عليها، فجاءت دراسته في هذا الصدد بعيدة عن الموضوعية مع صعوبة تطبيقها في الواقع الاجتماعي. □

مراجع الدراسة

1. Oleary - Arabic thought; P. 171

٢ ـ د. علي عبدالواحد وافي ـ شرح وتعليق على فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة ص/٦.

٣ ـ المرجع السابق ص/١٦.

٤ ـ د. أحمد الخشاب ـ التفكير الاجتماعي ص/٢٤١.

٥ ـ المرجع السابق ص/٢٤٣.

٦ ـ حنا الفاخوري ـ تاريخ الفلسفة العربية ص/ ١٤٩.

٧ ـ المرجع السابق ص/١٤٩.

٨ ـ محمد جلال شرف ـ خصائص الفكر السياسي في الاسلام ص/٢٧٢.

مصطفى لطفي المنفلوطي

بقلم : د. نعمات أحمد فؤاد/القاهرة

ولد السيد مصطفى لطفي في منفلوط في صعيد مصر سنة ١٨٧٦ لأبوين مصريين، وكان أبوه قاضيا شرعيا هو السيد محمد لطفي، ثم كان جده لأبيه السيد حسن لطفي قاضيا شرعيا ونقيبا وهم من الأشراف. وقد جاءت نسبته «المنفلوطي» من الأزهر الذي كان ينسب فيه الشخص إلى بلده

ولم تختلف نشأته الأولى عن [illegible]، فدخل كتّاب منفلوط وحفظ القرآن الكريم .

[illegible] كان مصطفى يحضر مجالس أبيه التي كان يجمع حوله شعراء منفلوط وأدباءها. فنشأ على حب الأدب [illegible] حتى إذا [illegible] الأزهر [illegible] انصرف عن الكتب الفقهية إلى كتب الأدب [illegible]

وانكب المنفلوطي على قراءة الأدب فقرأ « العقد الفريد » و « الأغاني » وأمهات الكتب العربية ولا سيما مصنفات الجاحظ . كما قرأ ما ترجمه أدباء سوريا ولبنان ونوه بجهودهم في كتابه « النظرات » . وفي الأزهر التقى بالشيخ محمد عبده، فلازمه وتأثر به أيما تأثير .

وكانت مصر في ذلك الوقت تضمر بغضا لأسرة محمد علي فما ان رجع عباس من استانبول حتى قال فيه المنفلوطي القصيدة المشهورة التي تنسب ايضا الى السيد توفيق البكري .

وحكم على المنفلوطي بالسجن لمدة عام فلما خرج منه عاد ... الى منفلوط .. حيث مكث بضع سنين بعيدا عن القاهرة، ولكنه لم يستطع البعد عن الحياة الأدبية فيها فأخذ يراسل صحيفة « المؤيد » و « مصباح الشرق » ومقالاته فيهما في ذلك الحين هي نواة كتابه « النظرات » ، فقد جمعها واختار منها هذا الكتاب الذي كان وسيلته في طلب العفو فقبل الخديوي وعينه محررا عربيا في وزارة المعارف . ثم انتقل الى الحقانية محررا عربيا عندما تولى سعد الحقانية . فلما تأسست الجمعية التشريعية انتقل موظفا بالسكرتارية هناك .

وحين كان مصطفى لطفي بمنفلوط تزوج امرأة أنجب منها توأمين وثلاث بنات ثم توفيت فتزوج مرة ثانية سنة ١٩١١ من قاهرية أنجب منها ابنه « فاضل » الذي مات في حياته ثم ولدين وأربع بنات .

وظل المنفلوطي يكتب ولكنه بدأ يتحفظ بعد أن عرف السجن فكان في كتابته أقل تحررا منه في حياته الحقيقية العادية . فلم يخرجه من تحفظه الا ثورة سنة ١٩١٩ فأخرج كتابه «في سبيل التاج» وهو رواية فرنسية ترجمها وكتب لها مقدمة . وهو يصور كفاح الشعب ضد الظالمين وانتصار حركة الاستقلال .

كما وضع كتابا أسماه « القضية المصرية » لم يشأ أن يحمله اسمه ولكنه بأسلوبه وروحه نم عليه فنحي عن عمله بعد أن صادر ثروت باشا الكتاب ابان ظهوره .. ثم صدر أمر من السلطات الانجليزية بالقبض عليه لولا أن توسط أصحابه لوقف هذا الأمر .

وقد حدث سنة ١٩٢٩ أن حاول ورثته ضم كتاب «القضية المصرية» الى كتاب النظرات فصادره صدقي باشا، وكان وزيرا للداخلية في وزارة محمد محمود باشا، فأصدر الناشر طبعة أخرى مستقلة بالنظرات خلوا من «القضية المصرية» ثم طبع مرة ثالثة في وزارة صدقي باشا فصادره مرة أخرى فكف أبناؤه عن طبعه ..

وحين أعلن الدستور في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فاستصدر نشأت باشا عفوا من الملك فؤاد عنه، وعينه محررا عربيا بالسراي ولكنه طلب نقله واستجاب له سعد زغلول فنقله الى مجلس الشيوخ في أواخر سنة ١٩٢٣ ولم يكد ينصرم عام حتى وافته منيته في ١١ يوليه سنة ١٩٢٤ على أثر تسمم في البول أجهز عليه، فقد كان مصابا قبله بثلاث سنوات بشلل أقعده ثلاثة شهور . وقد دفن في ١٢ يوليه سنة ١٩٢٤ وصادف يوم دفنه ضرب سعد بالرصاص في محطة القاهرة فلم يشيع بما هو له كفاء، وفي هذا يقول شوقي :

من مات في فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع أو حفاوة ساع

كان المنفلوطي فنانا وكان انسانا . كان يطرب للغناء ويألف صحبة أهله، كان يعشق الموسيقى والمسرح . طلق اليد طليق الروح لقد كان من المقدر له أن يكون نقيب أشراف بعد وفاة والده ولكنه رفض وتركها لأخيه الشقيق السيد حسن . وكان يعرف لنفسه حقها وكرامتها . حاول الشيخ علي يوسف أن يزوجه ابنته فأبى ولم يكن عنده سبب للرفض سوى غناها . كان حساسا وكان ينفعل بسائر الأحداث .

وكان عندما يتكلم يضغط على مخارج الحروف ليعوض ثقل لسانه وكان متحررا حتى لقد علم بناته في المدارس الأجنبية وان كان رفض ان يعلم ابنه حسن اللغة الانجليزية فأرسله مع اخته الى مدرسة نوتردام دي لابورت في حلمية الزيتون . وقد بدأ هو بنفسه يتعلم الفرنسية في سنيه الأخيرة فلم يتسن له أن يحسنها ومع هذا كان يطلع على المترجم من الأدب الغربي الى العربية . وقد رفض أن يستبدل بزيه العربي الزي الافرنجي تمسكا بشخصيته .

ومن تحرره انه عندما كان محررا عربيا بوزارة المعارف وطلب اليه أن يختار قراءات للمدارس، اختار مجموعة تضم الكثير من الشعر العاطفي وشعر الطبيعة ما يوافق ذوقه وان لم توافق وزارة المعارف . وقد سمى هذا الكتاب «مختارات المنفلوطي» .

كان ثورة متحركة على هدوء فيه . نادى بالتكتل أمام العدو الأجنبي وهاجم الانجليز وندد بأنصار الاستعمار .

حدث مرة أن كان سائرا برفقة صديق في شارع كامل «الجمهورية حاضرا» واذا بثروت باشا يمر بسيارته عبره فلما رآه نزل من السيارة فجأة وهدد، ان لم يكف عن كتابة المقالات السياسية في كوكب الشرق . وكان يدبجها تحت امضاء «لكاتب كبير» فرد عليه « وهل أنا الذي يكتب هذه المقالات ؟ انها زوجتي » .

واستمر يكتبها ...

وحدث سنة ١٩٢١ ان كان اسمه في الكشف مع محجوب ثابت ولما صدر العفو عنه شطبوا اسمه وتركوا العنوان فلما صدر الأمر بالقبض على محجوب ثابت ذهبت العربة (البوكس) الى بيت المنفلوطي وكان على مقربة . من بيت محجوب . فلما استشعر وجودهم ارتدى ملابسه واستعد للنزول معهم واذا بهم يستدركون ويذهبون الى منزل محجوب المقصود بالهجوم ..

وكان المنفلوطي مع الرأي القائل بأن مصر للمصريين وقد كلفته شجاعة الرأي كثيرا . عرف الجوع والحرمان وان لم يثنه ذلك عن مبدئه فكان يعقد الاجتماعات في بيته وينضم اليها خارجه .

وكان يرى ان الاستقلال لا بد أن يسبقه رفع مستوى البلد العلمي والاجتماعي .

واذا كان شوقي قد وضع قواعد الأسلوب التجديدي في الشعر، فان المنفلوطي قد وضع قواعد الأسلوب التجديدي للنثر . وان كان قد أبعد العربية عن حياتنا اليومية بقدر ما اكسبها من رصانة وجزالة ولكنه يحسب له تخلصه من السجع — الا قليلا — وتخليصه اللغة من الضعف .

مؤلفاتـــــه

* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]

وقد سبق أن أشرنا الى كتابه المصادر عن (القصية المصرية) والآخر (مختارات المنفلوطي).

[illegible]

ولكن [illegible]

[illegible] الموضوعة أشار الى الأصل الذي احتذاه. وهو في الترجمة أو الوضع أو التأليف تغلب عليه الرومانتكية المفرطة. ففي اهداء الكتـــاب [illegible]

(الأشقياء في الدنيا كثير، وليس في استطاعة بائس مثلي أن يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم. فلا أقل من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات، علهم يجدون في بكائي عليهم [illegible])

فهو لم يحاول التفكير في [illegible] والدعوة نفلسه الى حلها بديلا عن البكاء؟

ويقول في النظرات: (ص ٨٥) «ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفقود فتبتسم سرورا ببكائك ... الخ).

فماذا هذه الدموع؟ ان الأفضل من البكاء أن نتعرف أسباب الشكوى ونتلمس دواعي الحزن ونعالجها ... فأمراض المجتمع الكبير ومشاكله لا تعالج بالبكاء أو التألم ولكن [illegible]

ومن [illegible]

[illegible] برفعي أثر مصابيح العصر في كتبه أوراق الورد، السحاب الأحمر، رسائل الأحزان

والمنفلوطي مفاهيمه في الأخلاق والوضعية «قريبة» غير ممتدة الأبعاد والرؤى — على العكس من [illegible] يرى الدمع [illegible] يرى أسعد [illegible] والاحسان لا يدوم واذا دام لا يصمد مع طول المدة. لذا كان من الأفضل أن يوجد القادر للفقير عملا يتكسب منه ويوفر له كرامته.

ولما كان المنفلوطي يعيش في عصر الاتصال بأوروبا فقد شاع في أدبه الخوف من غلبة أوروبا وسيطرتها بعلومها وآدابها ومدنيتها الحديدة حتى لقد كان من شدة اهتمامه أن جعل من ذلك دعوة حيث يقول

(استطعت — وقد غمر الناس ما غمرهم من هذه المدنية العربية ان اجلس ناحية منها .. وأن أنظر اليها من مرقب عال، وكنت أعلم أن من أعجز العجز أن ينظر الرجل الى الأمر نظرة طائرة حمقاء، فاما اخذه كله أو تركه كله، فرأيت حسناتها وسيئاتها، وفضائلها ورذائلها، وعرفت ما يجب أن يأخذ منها الآخذ وما يترك التارك، فكان من همي أن احمل الناس من أمرها على ما أحمل عليه نفسي، وان أنقم من هؤلاء العجزة الضعفاء وتهالكهم [illegible] حتى اصبح الرجل الذى لا بأس بعلمه وفهمه اذ حزبه الأمر في مفاضلة بينه وبين من يأخذ برذيلة من الرذائل لا يجد بين يديه ما ينضح به عن نفسه الا أن يعتمد عليها في الاحتجاج على فعل ما فعل، أو ترك ما ترك كأنما هي القانون الالهي الذي تثوب اليه العقول عند اختلاف الأنظار واضطراب الأفهام، أو القانون المنطقي الذي تورن به التصديقات والتصورات لمعرفة صوابها وخطئها وصحيحها وفاسدها).

وقد عقد في هذا الموضوع فصلا مستقلا تحت عنوان (المدنية العربية) ص ١٣٢ أعلن فيه أن الدعوة الى الاصلاح يسعي أن تكون (باسم المدنية [illegible]

[illegible])

[illegible] الحضارات والثقافات واللغات أليس كل [illegible] على عالم جديد بالنسبة الينا ... [illegible] نستطيع حتى أن نثري عالمنا به في الفكر أو الفن أو الأدب أو العلم؟

ومن الطريف ان (حب) في كتابه (دراسات في حضارة الاسلام) [illegible] من روسو وفكتور هيجو) ص ٣٤٣

والمنفلوطي في كتاباته متحمس خائف متشائم يرتجف مما سيكون عليه الغد ... حقا [illegible] متفائلا مستبشرا فهو حينا ناحي القمر ويصفه [illegible]

النيرات حور وولدان؟ أم فص من ماس يتلألأ، وهذا الأفق المحيط بك خاتم من الأنوار؟ أم مرآة صافية، وهذه الهالة الدائرة بك اطار، الخ ...) النظرات جـ ١ ص ٥٧.

فبعد هذا الوصف الشاعري «الرومانتيكي» عاد يصفه بأنه (يقطع شوطه حزينا منكسرا)

هل تحزن العروس الحسناء؟ ومتى تبلغ قمة فرحتها؟

وكأني بالمنفلوطي من كثرة ما ردد لفظة الحزن قد ألفه حتى ليفتقده اذا غاب عن سطوره ولو كان موضوعها مناجاة قمر....

ويقول في «العبرات»:

(انك ضحكت بالأمس كثيرا، فابك اليوم بمقدار ما ضحكت بالأمس فالسرور نهار الحياة والحزن ليلها، ولا يلبث النهار الساطع أن يعقبه الليل القاتم) !! ص ٥٦.

وقد تخيل المنفلوطي مدينة سعيدة فاذا به يتصور «مدينة السعادة» (يعيش أهلها سعداء لا يشكون هما لأنهم قانعون، ولا يمسكون في أنفسهم حقدا ... لأنهم متساوون، ولا يستشعرون خوفا لأنهم امنون).

قناعة ... مساواة ... أمـن ..

هذه هي متطلبات السعادة وقد أصاب الى حد كبير فالقناعة تشيع في النفس الرضا ... والمساواة تعني تكافؤ الفرص، والعدل عند الحكم ... والأمن ينتفي معه الخوف وتمحى الرهبة فتتنفس الحرية وتقول كلمتها صادقة وتجاهر برأيها واضحة وتعطي صوتها حرة متخففة في كل هذا من الضغط النفسي والمادي والاجتماعي.

وقد شرح المنفلوطي في الجزء الأول من النظرات طريقته في الكتابة وذكر انه قرأ كتب الأدب العربي القديم وتأثر بها وعاشها حتى ليبكيه أحر بكاء وأشجاه شقاء المهلهل في الطلب بثأر أخيه ــ هذه قصة قديمة لو جاز لها أن تثير شعورا فلا يمكن أن يكون شعورا حارا من أي نوع سواء أكان حزنا أو سرورا، وشقاء امرىء القيس في الطلب بثأر ابيه وبكاء جليلة أخت جساس على زوجها وأخيها، وبكاء عدي بن زيد على نفسه في سجن النعمان وبكاء ... الخ البكائيات على مسار التاريخ الأدبي، مما يستهوي المنفلوطي بمزاجه الحزين...

والمنفلوطي يتحرى [illegible] لغوية على سبيل التفاصح أو لعله تحية للفصحى مع انه يقول (انه يحدث الناس بقلمه كما يحدثهم بلسانه) أي بلغة بسيطة قريبة الى الافهام.

ويبدو ان الناس من حبهم له اخذهم هذا الوصف، فأقبلوا على العبرات والنظرات اقبالا شديدا، وقد استهوتهم فيها سهولة الموضوع مما يسره للافهام على الرغم مما يعلق بالاسلوب احيانا من مثل هذه الألفاظ:

ففيه: أي خرقه، مندلثا: أي مندفعا، صبارة البرد وحمارة القيظ ... الخ.

مع أن للمنفلوطي نفسه رأيا يخالف هذا بل يناقضه فهو يأخذ على عباد اللفظ هوايتهم المفضلة أو المرهفة ويقول في أسى ظاهر ــ والأسى هوايته هو المفضلة هذه المرة ــ (انه ما أفسد على المتنبي وأبي تمام كثيرا من شعرهما، ولا المعري كثيرا من منظومه ومنثوره، ولا على الحريري مقاماته، ولا على ابن دريد مقصورته، الا غلبة اللغة عليهم واستهتارهم بها، وشغفهم بتدوينها في كل ما يكتبون فقد كانوا هم وأمثالهم من حبائس اللغة وانضائها في كثير من مواقفهم يؤلفون ويدونون، من حيث يظنون انهم ينظمون أو يكتبون، ولا تزال نفسي تشتمل على لوعة من الحزن لا تفارقها حتى الموت كلما ذكرت أن الأدب العربي كان يستطيع أن يكون خيرا مما كان لو أن الله تعالى كتب للزوميات المعري النجاة من قبضة اللغة وأسر الالتزام وانك لا تكاد ترى اليوم من شعراء هذا العصر وكتابه ــ الذين يأخذون بزمام المجتمع العربي ويقيمون عالمه ويقعدونه بقوتهم القلمية في شئونه السياسية والاجتماعية والأدبية كافة ــ من يعد من حفاظ اللغة العربية وثقافتها، أو من يسلم له مقال من مأخوذ نحوي أو مغمز لغوي، وهم على ذلك أدخل في باب البيان وألصق به وأمسى رحما من أولئك الذين يستظهرون متون اللغة ويحفظون دقائقها ويحيطون بمترادفها ومتواردها ويتباصرون بشاذها وغريبها ويحملون في صورهم ما دق وما جل من مسائل نحوها وتصريفها، فاذا عرض لهم غرض من الأغراض في أي شأن من شئون حياتهم وأرادوا أنفسهم على الافضاء به ارتج عليهم فأغلقوا أو تقعروا وتشدقوا فكأنهم لم ينطقوا)

وبعد هذا يفرق بين الأدباء واللغويين في أسلوب طريف لا يخلو من ألفاظ لغوية من ذلك الطراز الذي يثيره ويثيرنا ايضا.

وهو مغرم بالاستعارة والتشبيه يقسره أحيانا قسرا! كقوله: (مضى الليل الا اقله، ولم يبق من سواده في صفحة هذا الوجود الا بقايا أسطر يوشك أن يمتد اليها لسان الصباح فيأتي عليها) العبرات ص/٨.

هل الأسطر (تلحس) باللسان؟

وكان أسلوبه ــ على الرغم من ولعه ببعض الألفاظ الصعبة ــ سلسا عاطفيا موسيقيا ولكن في غير عمق أو أثر للدراسة ولهذا يعزو «جب»، صادقا، شهرة المنفلوطي الى أسلوبه أكثر منها الى مضمون مقالاته.

ولعل من حب المنفلوطي للموسيقى ولعه بالمفعول المطلق لأنه يريح النفس في آخر الجملة وان كان أكثر منه كثرة حملت عليه النقاد (المازني في الديوان).

وقد أشرت الى اصطناعه الرؤية البعيدة مهما دقت ويميز الأصوات ايضا على البعد البعيد فهو يستطيع ــ أو هكذا يقول ــ أن يرى طالبا في المنزل المجاور له وقد (رفع رأسه فاذا عيناه مخضلتان من البكاء، واذا صفحة دفتره التي كان مكبا عليها قد جرى دمعه فوقها فمحا من كلماتها ما محا!! ومشى ببعض مدادها الى بعض)!

ورآه مرة أخرى (في فراشه يئن أنين الوالهة الثكلى) ترى كيف سمع الأنين وهو صوت مكتوم؟

لقد نقده كبار كتاب عصره كالمازني والدكتور طه حسين ولكنه على الرغم من هذا تمتع في حياته وبعد الحياة بشهرة ذائعة واسعة جاوزت حدود مصر الى البلاد العربية.

وقد ظفرت كتب المنفلوطي بعدد قياسي من الطبعات حتى لقد طبع بعضها أكثر من عشرين طبعة. اما شعره فقد ضاع أكثره ولم يبق منه الا جزء يسير يشهد له. □

أطياف ابتسامة

شعر : عبدالملك عبدالرحيم / الرياض

أراكِ .. فلا تكفُّ رؤى الجمالِ ... وموجتْ الصبوب .. على توالي
وينهمر الضياءُ بكل وادٍ ... ويعمرُ كل محتفي وعني
وتبتسمُ الورودُ على الروابي ... وتأتلق الزنابق .. واللآلي
وينتشر العبيرُ بكل دَرْبٍ ... ويكسو العشبُ هامات التلال
وتنبعثُ الفراشاتُ ابتهاجاً ... وتنبثق الجداول .. في الرمال
ويَزهو في الضِّفافِ الخُضرِ سَرْوٌ ... وصفصفٌ .. وحلاتٌ عواني
وكم تهبُ الحقول فنونَ زهر ... نسه حالم منها .. وحالي
وتكتنز السنابلُ بالعطايا ... وتمتلىء البيادر بالغلال
وتولد في المدى أسرابُ طير ... تغردُ للحدائق .. والدوالي
ويَخضرُّ الأديمُ بكُلّ أرضٍ ... وينمو اللحنُ .. في صمتِ الجبال
فبسمَتُكِ الجميلة حيث أمضي ... تطالعني .. بلوحات الجمال
وبَسمتك الجميلة .. طوقُ فُلٍّ ... يُعانقني .. بحِلّي وارتحالي
وفي همساتها أملٌ وعَزْمٌ ... أشُقُّ به المصاعب لا أُبالي
وفي إيمائها .. فرَحٌ وبشرٌ ... يُسافرُ بي .. الى أعلى الأعالي
وفي نسماتها النشوى ربيعٌ ... شهيُّ العطر .. فتّانُ المجالي
وفي وقت الهواجر حويبي ... مُعطّرَة الخمائل .. والظّلال
وفي زمن الصقيع تشعُّ دفئاً ... يعصف بهمتي .. يُذكي اشتعالي
وفي اغرائها النشوان سحرٌ ... تَدفّقَ بالأنوثة .. والدّلال
وفي أشواقها الظمأى نداءٌ ... أُحِسّ لهيبَهُ .. فوق احتمالي
وفيهَا سِرُّ تغريدي وبوْحي ... وفيها العالمُ الأسْنى بدا لي
وثَمَّ مَفاتنٌ أُخرى .. براها ... هواي .. وصبح رَوْعتها حياتي
وبسمتك الجميلة سوف تبقى ... صبح العطر .. والألق اسبي

السَّبخة .. النّافِذة المطلة على الماضِي

يعقوب سلام / هيئة التحرير

السبخة

السبخة . هذه الأرض الطينية المالحة . هي [illegible] العريضة التي يصل [illegible] على العصور جيولوجية سحيقة يوم غمرت المحيطات والبحار القسم الأكبر من اليابسة ثم انحسر المد وتراجعت المحيطات والبحار مخلفة وراءها كميات هائلة من المياه المالحة الغنية بالمعادن خلفها [illegible] حرارة [illegible] في صخور [illegible] عادية وأخرى مسامية ، لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الثروة الهيدروكربونية وخاصة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية

السبخة . وهي منطقة [illegible] على [illegible] من المملكة العربية السعودية المطلة على الخليج ، قد تبدو في نظر الكثيرين ، مجرد أرض قفراء قاحلة . لكن علماء طبقات الأرض استطاعوا بفعل ابحاثهم العلمية ان يميطوا اللثام عن هذه البقاع الشاسعة التي تحتضن في باطنها ثروات طبيعية كبيرة .

إن إجراء دراسة مكثفة لطبقات الأرض هنا في المنطقة الشرقية من المملكة بهدف [illegible] قد يكشف عن [illegible] في هذه السبخة تساعد على الكشف عن الظروف التي تكونت فيها أكبر حقول النفط في المملكة على مر العصور

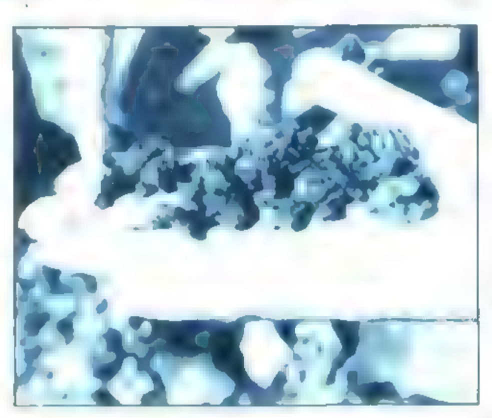

تندفع المجرفة بين طيات السبخة المشبعة بالماء لتكشف عن بلوريات من الجير المختلطة بالطين ، وعن بلوريات بيض لامعة من الأنهيدريت في طور التكوين . وعلى جدران الحفرة التي قد يصل عمقها الى نصف المتر ، والتي سريعا ما تمتلئ بالماء ، يمكن ملاحظة وجود خطوط سود اللون كانت في يوم من الأيام طحالب نابتة خشنة الملمس وبالقرب منها يمكن رؤية كلوريد الصوديوم الطبيعي ، وهو ما يعرف بملح الطعام الصخري ، ويمكن رؤيته تحت سطح الحفرة [illegible] .

[illegible] جميع محتويات الحفرة ، [illegible] الصلصال ، هي من المعادن التي ترسبت [illegible] عبر ملايين السنين ، وتبخرت خلالها كميات هائلة من المياه المالحة التي قذفتها المحيطات ، وقد [illegible] الأنهيدريت [illegible]

حوض . دورا رئيسيا في تكوين حتيضي البترول في المملكة والذي يشكل اكبر حتيضي للبترول في العالم .

يقول أحد علماء طبقات الأرض العاملين في أرامكو في حديث له مع مجموعة من الباحثين في موقع احدى السبخات الواقعة الى الشمال من معمل معالجة مياه البحر في القُرَيّة على الساحل : ان لدى علماء الجيولوجيا آراءهم الخاصة فيما يتعلق بالسبخات وما يمكن ان تكشف عنه الدراسات من معلومات . فالحاضر هو مفتاح الماضي ، واننا نعتقد ان معرفة ما يكمن هنا في هذه السبخة اليوم ، انما يساعد على تكوين صورة وافية عن التغيرات والتفاعلات التي حدثت في باطن الأرض منذ أزمان موغلة في القدم .

ولعل من أهم التفاعلات التي تحدث في باطن الأرض السبخة اليوم بالنسبة لعلماء الجيولوجيا ، هو تكون الجبر والانهيدريت أو كبريتات الكالسيوم اللامائية . فعندما يكون الانهيدريت موجودا على أعماق سحيقة في باطن الأرض ، إنما يشكل الغطاء الصخري لمعظم مكامن الزيت المنتجة ، بما في ذلك حقل الغوار في المملكة الذي يعد اكبر حقل للزيت في العالم .

لقد كانت الخواص الميكانيكية لتكوين الانهيدريت بشكل خاص ، مدار بحث ونقاش بين علماء طبيعة الأرض خلال السنوات القليلة الماضية . فقد كان العلماء ، حتى وقت قريب ، يعتقدون بأن كبريتات الكالسيوم قد تكونت بفعل التبخر ومن ثم تحولت الى جبر ، وهو ما يعرف بكبريتات الكالسيوم . غير انه اتضح ان كبريتات الكالسيوم هذه قد تترسب على شكل انهيدريت مباشرة دون الحاجة الى المرور بمرحلة التحول الى جبر ، وذلك بتعريضها لثلاثة عوامل هي الحرارة الشديدة ، والضغط الكبير ، واستخلاص الماء منها .

لقد تم اكتشاف ترسبات أولية من الانهيدريت في طور التكوين ، وهي كتل من البلورات الجبرية متماسكة مع بعضها البعض ، وتوجد فوق سطح الماء في باطن الارض السبخة على ساحل دولة الامارات العربية المتحدة .

وحتى ذلك الاكتشاف ، فقد كان الاعتقاد السائد لدى الجيولوجيين ، ان الطريق الوحيد لتكوين الانهيدريت هو عن طريق تحوّل الجبر الكامن في باطن الارض على عمق قد يصل الى ٣٠٠ قدم او اكثر .

وقد جاء في كتاب صدر حديثا حول هذا الموضوع ، أن هناك احتمالا ، بأن تكون الحرارة الشديدة جدا خلال فصل الصيف في منطقة الخليج قد لعبت دورا اساسيا في تشكيل الانهيدريت في أطواره الأولى وذلك عن طريق تخليص الجبر من الجزيئات المائية .

وتتوفر الظـروف المطلوبة لتكـوّن الانهيدريت بشكل رئيسي اليوم في عدد من المناطق ، وبخاصة تلك المناطق التي تتعرض لحرارة عالية جدا ، والتي يحتمل وجود تجمعات كبيرة من الترسبات المائية المالحة فيها . وبغض النظر عما اذا كانت هذه الترسبات المائية المالحة قد ترسبت على شكل انهيدريت في طور التكوين ، أو تشكلت عن طريق دفن الجبر عميقا في باطن الأرض ، فان وجود غطاء كثيف من الانهيدريت ، يصل سمكه الى اكثر من تسعين مترا ويدعى « تكوين دحل هيت ــ Dahl Hith Formation » فوق الطبقة العربية « د » الغنية بالزيت في المملكة العربية السعودية ، يثير لدى علماء طبقات الأرض العديد من التساؤلات .

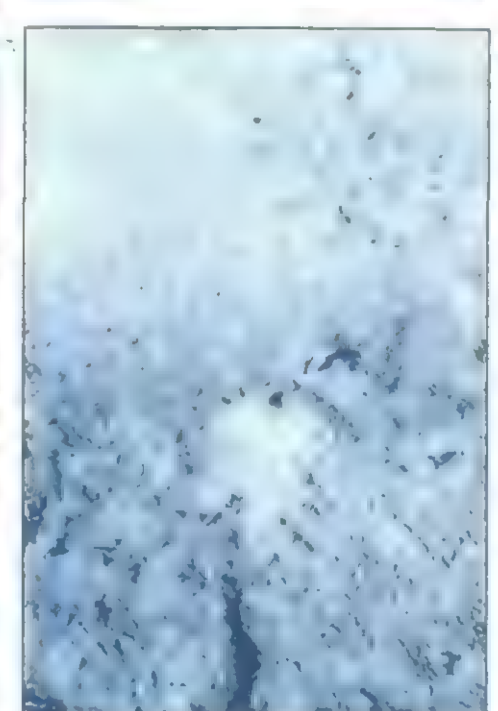

وهناك رأي واحد أجمع عليه جيولوجيون . وهو أن الانهيدريت نتاج ترسبات معدنية حجمت عن تدفق كميات هائلة من مياه مالحة في نسخة كعنصر أساسي أو ثانوي . لكن هناك حقيقة اخرى تم التأكد من صحتها وهي وجود غطاء صخري من الانهيدريت فوق صفقة العربي التي تشكلت في العصر الجوراسي الذي استمر فترة تراوحت بين ١٩٥ مليون و ١٤٠ مليون سنة ، وان هناك صفقات أخرى من الانهيدريت أقل كثافة تفصل بين المناطق « أ » و « ب » و « ج » و « د » من طبقة العربي المنتجة للزيت .

لقد بات في حكم المؤكد تقريبا انه لولا وجود غطاء الانهيدريت الصخري عديم النفادية ، لما وجدت هناك تجمعات بترولية في طبقة العربي حتى الآن .

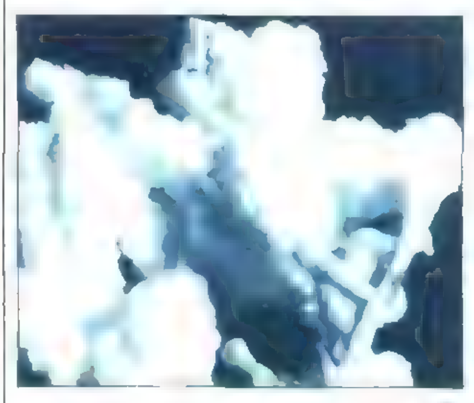

وتكونت عبر ملايين السنين على هيئة صخر ... غطاء صخر الانهيدريت هـذا والصخور الجيرية المسامية التي تليه في التكوين العربي والتي تعتبر مثالية لتجميع الزيت . قد تشكلت عبر عشرات ملايين من السنين على هيئة حجر صخري ذي قاع قبلي لاخدود ، حيث مياهه ثم تدفقت لتغمر ما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية من المملكة .

ويقول احد الجيولوجيين في ارامكو ، ان السبخة هي عبارة عن موقع تجفيف لبحر هائج . وعندما يتراجـع دفق المياه المالحـة ، فان البحر يجف ويترك طبقة من الجير ، لا تلبث مع ضغطها ان تتحول الى صخر جيري . ثم ينحسر البحر وتحدث عملية البحر مستمرة للمياه المالحة وترسب المعادن مثل الجير والانهيدريت . ومن خلال عملية المد والجزر لمياه البحر تتولد صفقات من الصخر الجيري

واحدة فوق الاخرى ، تعلوها أغطية صخرية من الانهيدريت .

وقد سمي هذا التكوين بتكوين هيت نسبة الى ثقب في صخر تتجمع فيه المياه ويدعى « دحل هيت — Dahl Hit » بالقرب من مدينة الرياض حيث عثر المنقبون في ارامكو سنة ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ م على نتوءات سطحية بارزة من صخر الانهيدريت في المملكة تمتد على طول الطريق من تلك المنطقة وتنحدر عبر المنطقة الشرقية حتى قبة الدمام ، وتستمر في امتدادها عبر الخليج . وكان هذا التكوين يصل في سمكه في بعض المواقع الى نحو ١٥٣ مترا .

ويفترض جيولوجي آخر في ارامكو تفسيرا محتملا لنشوء تكوين هيت ، وهو وجود بحيرة ضحلة شاسعة تمتد من مكان ما الى الغرب من مدينة الرياض لمسافة مئات الكيلومترات الى الشرق ، متصلة بطريقة ما بالبحر . وبقيت هذه البحيرة موجودة لعدة ملايين من السنين ، بينما كان البحر القديم في حالة انحسار .

ويعترف هذا الجيولوجي في الوقت نفسه ، بأن وجود بحيرة هائلة بهذا الاتساع تغطي مئات الآلاف من الكيلومترات المربعة ، أمر يصعب تخيله في هذه الايام ، غير ان من الممكن ان تكون بحيرة كهذه قد وجدت خلال العصر الجوراسي .

ان تدفق المياه الشديد الى أية سبخة يمكن ان يستمر عبر عدة طرق ، من بينها احتمال تسرب مياه البحر عبر الرواسب غير المتماسكة التي تسمح بنفاذ السوائل ، أو تسربها عن طريق المد أو العواصف . أو اتصال البحر ببحيرة ضحلة جدا شبيهة بالسبخة عن طريق فلج ضيق من الماء .

ولعل العامل الأساسي في عملية ترسب المعادن يعود الى تدفق كميات هائلة من مياه المحيط الغنية بالمعادن والى حدوث تبخر شديد قد يكون صخر الانهيدريت قد تشكل نتيجة انخفاض في مستوى سطح البحر ، وذلك لكون الانهيدريت احد التشكيلات الصخرية في بيئة بحرية انقطعت فيها مسيرة الحياة البحرية الطبيعية .

١ — دراسة ميدانية للسبخة وما تحويه من الترسبات المعدنية المطمورة في باطنها .

٢ — تتفاوت احجام بلورات الملح ما بين سنتمتر واحد وسنتمترين، وهي تستخرج من قيعان برك الملح في الملاحات.

٢

والجدير بالملاحظة هو ان اكتشاف الانهيدريت في « دحل هيت ــ Dahl Hit » على أيدي فريق من جيولوجي ارامكو ، ومن بينهم توم بارقر ، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لمجلس ادارة الشركة ، قد شجع على المضي في اعمال البحث والتنقيب التي اسفرت فيما بعد عن اكتشاف حقول للزيت اعتبرت من اكبر حقول الزيت في العالم .

ويذكر أحد الجيولوجيين الأوائل في ارامكو ان رجال التنقيب عن الزيت كانوا قد عثروا بالفعل على طبقة العربي « د » الحاملة للزيت ، وهي احد فروع التكوين العربي ، وذلك عن طريق الحفر في قبة الدمام حيث كان صخر الانهيدريت يشكل غطاء محكما لها ، وقد تم ذلك في الفترة التي امكن فيها تتبع سلسلة الطبقة الصخرية البارزة على سطح الأرض . وقد افترض ماكس ستاينكي ، كبير الجيولوجيين في ارامكو آنذاك ، احتمال امتداد حاجز صخر الانهيدريت حتى نقطة قريبة من مدينة الرياض . وعندما عثر على الغطاء الصخري اتضح له انه يغطي الصخور الرسوبية الجوفية الموجودة في المنطقة الشرقية بأكملها .

إن الدليل على وجود المواد الهيدروكربونية تحت الغطاء الصخري في دحل هيت وتحت قبة الدمام ، كان يعني احتمال العثور على المواد الهيدروكربونية في أي من التكوينات الجيولوجية المنتشرة في تلك المنطقة وحتى المنطقة الشرقية .

ومن هنا يتضح لنا ان الحقائق الجيولوجية التي توصل اليها ماكس ستاينكي وغيره من الجيولوجيين الرواد قد مهدت الطريق لاكتشاف تجمعات هائلة من الزيت في عدة حقول في المنطقة الشرقية من المملكة ، كان من بينها حقل الغوار الضخم وحقل خريص وحقل البرّي وحقل القطيف وغيرها من حقول الزيت في المملكة العربية السعودية . وبعد ، فان هذه الحقبة التاريخية الحافلة بالمنجزات العملاقة في عالم الزيت ، تعود للبروز مرة اخرى من خلال السبخة النافذة المطلة على الماضي ، والتي مازالت آثارها باقية حتى الآن في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية □

١ ــ كتل من ملح الطعام والمعروف بملح الصخر ، أحد المعادن المترسبة نتيجة عملية التبخر لمياه البحر المالحة . ويبدو هنا عالم طبقات الأرض في ارامكو « بيتي وولتهول » يفحص أحدى الكتل البلورية من الملح الصخري في السبخة بالمنطقة الشرقية من المملكة .

٢ ــ بقايا من أصداف ومخلفات بحرية متنوعة تجمعت في السبخة بعد انحسار مياه المحيطات التي طمرت المنطقة منذ ملايين السنين .

تصوير : أليس آرندت
آرثر كلارك

وجه من الصحراء في شمال السنغال.